ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1184
2024/4/3

الملحق الثقافي

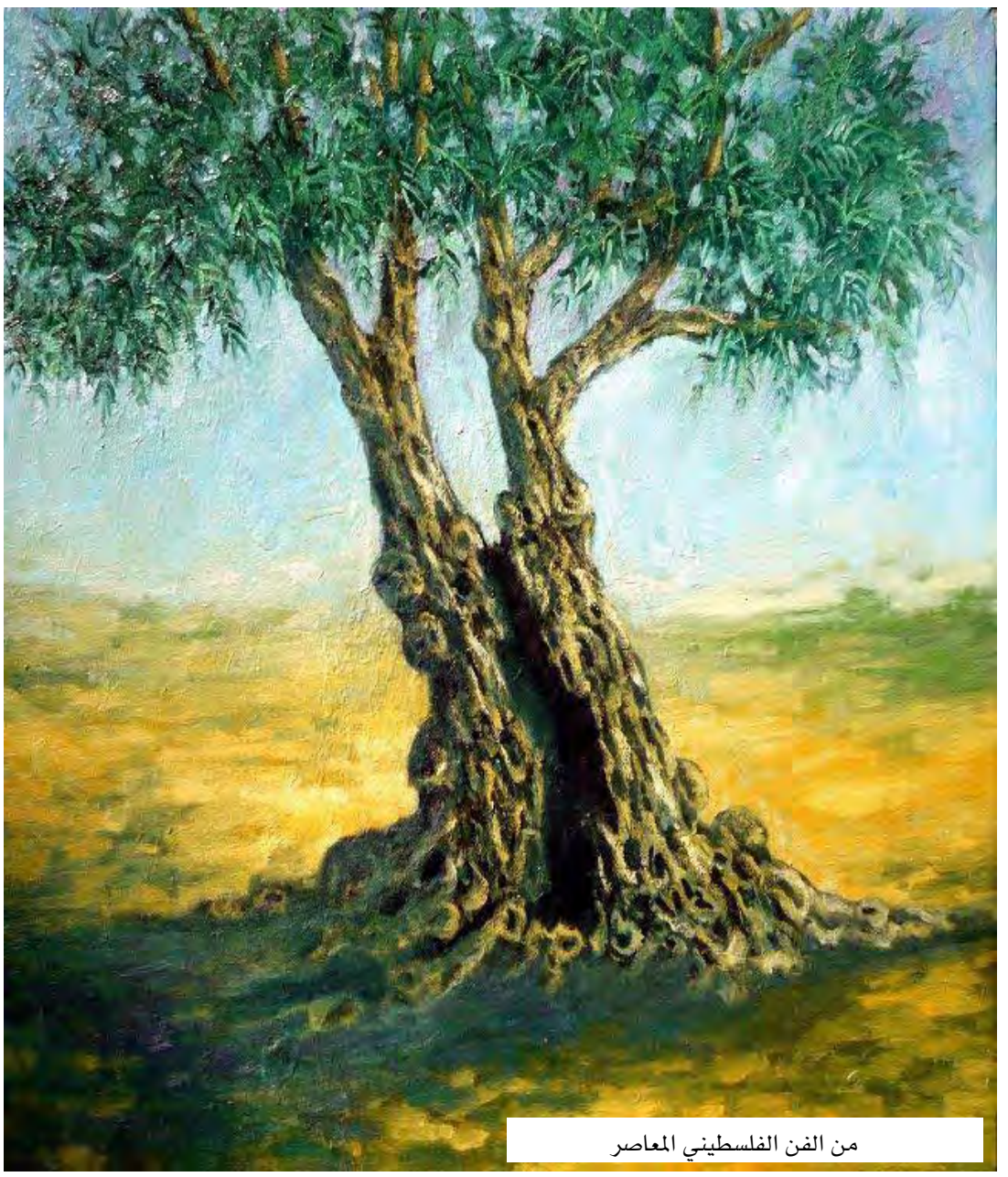
من الفن الفلسطيني المعاصر

ملف العدد

الشعر في يومه العالمي

أول الكلام

دراما النبش ..

▪ ديب علي حسن

ثمة قول لا يجانب الصواب مفاده أن من يدفع للزمار يختر اللحن الذي يريد أن يسمعه وعلى هذا القياس من يدفع تكاليف إنتاج سلعة ما مادية أم معنوية هو الذي يحدد مواصفاتها التي يجب أن تكون.

والدراما سلعة ثقافية ومادية وهي مزيج من كل الألوان كما الإعلام.

ولا دراما دون تكاليف بل تكاليف باهظة وبالتالي هي سلعة عرضة للربح والخسارة ومن الملاحظ أن صناع الدراما لا يبحثون إلا عن ربح سريع..

في الحديث عن الدراما العربية والموضوعات التي تطرحها الكثير مما يقال ..نقاشات شتى وآراء متشعبة ..لم تستطع أن ترضي أحدا فيما تطرحه ..هذا يرى الموضوع سطحيًا وغايته النبش في صندوق (ميدوزا) وإثارة الكثير من الفتن قبل أن تثير النقاش ولا سيما في الجانب التاريخي.

صحيح أن الدراما ليست تاريخًا ولا يمكن أن تكون كذلك ولكنها تفعل الكثير لاسيما عند المتلقي الذي لم يصل إلى مرحلة الوعي الحقيقي وقبول الآخر والنقاش بروح بعيدة عن التعصب الأعمى والإسقاطات التي تفتت أكثر مما توحد.

الدراما العربية في مأزق حقيقي لأننا نحن في مأزق لأن صناعة التنوير غائبة عنا وأغلال الجهل تحيط بنا من كل حدب وصوب ..وثمة من يعمل على نار تحرق كل شيء، حطبها كتاب وفنانون وشركات إنتاج ومتلقون..

لابد من إعادة قراءة الواقع ولكن برؤى التنوير وعلى أسس يكون الإنسان غايتها لا النبش الذي نراه غير موفق وليس بريئًا.

أبجدية الشعر

لوركا الشاعر الفنان

عن الكتابة المشتركة

عن النخب الثقافية

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

كتّاب العدد
حسب الترتيب الهجائي
أيمن شعبان
بادر سيف
ثائر زين الدين
حسين صقر
رجاء شعبان
رفاه الدروبي
رولا حسن
ديانا مريم
علم عبد اللطيف
غانم سلمان
فرات اسبر
مجيب السوسي
منى حبابة
نادين أحمد
نبوغ أسعد
هنادة الحصري
وفاء يونس

معرض

تشكيل في الهواء الطلق

شارك أكثر من ٣٠ فنانا تشكيليا وهاويا في ملتقى :»مدانا ألوان ، الذي أطلقه مشروع مدى الثقافي في حديقة الدبلان بحمص.

الملتقى الذي يعتبر فرصة للمشاركين لإظهار مواهبهم أمام الناس في الأماكن العامة والتعريف بالفن التشكيلي ومدارسه المختلفة سبق ونظمته مدى في مناطق مختلفة بحمص من أسواق أثرية وحدائق وغيرها.

وفي تصريح له بيّن مدير مشروع مدى الثقافي بحمص رامز الحسين أن ملتقى «مدانا ألوان» يقام في حمص للمرة الخامسة خلال عامين، بهدف نشر ثقافة الفن التشكيلي في الشوارع وخلق صلة وصل بين الفنانين والناس في مختلف الأماكن.

بدوره أشار فريد وسوف مسؤول الفن التشكيلي بمشروع مدى الثقافي إلى أن الملتقى يفتح أبوابه أمام جميع الفنانين والموهوبين، ليعبروا عن أنفسهم أمام المارة في الأماكن العامة، بهدف إظهار أهمية وجمالية الفن التشكيلي وتشجيع كلّ من يمتلك القدرة أو الرغبة للمشاركة وإظهار موهبته على العلن.

وجاءت مشاركة الشابة أميرة الربيع من خلال صورة غرافيك لأم كلثوم، فيما شاركت الشابة فيفيان طنوس بلوحة للفنان فان غوخ بعنوان ليلة مضيئة.

الفنان التشكيلي محمد فريد البوز الذي جسد في لوحاته عدة لقطات لأشخاص، عبر عن أهمية الملتقى في الإضاءة على أهمية الفن التشكيلي وجمالياته والارتقاء بالذائقة الفنية لدى مختلف شرائح المجتمع.

بدورها شاركت الفنانة التشكيلية آية خضور بلوحاتٍ بورتريه بالألوان الزيتية على القماش، بينما رسم الشاب أيهم بوظان حصاناً وأنثى بالأبيض والأسود ضمن لوحة أراد من خلالها إظهار رسائل عن قوة المرأة.

وبينت الفنانة التشكيلية سوسن الصوفي أن الفن أجمل ما في الوجود، وشجعت كلّ من يمتلك موهبة على إظهارها.

إصدار

هل المفكرون مؤهلون أخلاقياً لتقديم النصح والإرشاد للبشرية.. وهل تتطابق ممارساتهم في حياتهم الشخصية مع المعايير التي تحتويها مبادئهم المعلنة.. وما مدى احترامهم للحقيقة والصدق.. وما موقفهم من المال وكيف يعاملون أصدقاءهم وأزواجهم وأبناءهم.. وهل الأفكار أهم من الأشخاص؟

يدرس بول جونسون في كتابه (مفكّرون.. من ماركس وتولستوي إلى سارتر وتشومسكي).. السير الذاتية لجان جاك روسو وبيرسي بيش شيلي وكارل ماركس وهنريك إبسن وليو تولستوي وإرنست همنغواي وبرتولد بريخت، وبرتراند رسل، وجان بول سارتر، وإدموند ويلسون، ونعوم تشومسكي فيطرح هذه الأسئلة ويخرج بإجابات صادمة.

ومن هنا تأتي أهمية الكتاب الذي يعالج هذه المسألة بالتحديد، فهو يتناول مجموعة من أكثر المفكرين تأثيراً في العالم الحديث وكانت لأفكارهم ومواقفهم آثار مهمة في الفكر البشري وفي الحياة الفعلية لملايين البشر في حالة كارل ماركس.

وفي الكتاب الذي ترجمه الدكتور نايف الياسين وهو من الإصدارات الحديثة للهيئة العامة السورية للكتاب يقول جونسون: إن المفكرين أخذوا دوراً كبيراً منذ عصر التنوير، ومنهم من قام بدور الأنبياء وقادة المجتمعات من خلال قوة أفكارهم.

وبحث جونسون وفق ما أشار إليه المترجم في مؤهلات هؤلاء الأدباء الأخلاقية والسلوكية للقيام بهذا الدور والتناقض الصارخ أحياناً بين ما يقوله هؤلاء وما يفعلونه وبين أفكارهم ومثلهم من جهة وسلوكهم في حياتهم الخاصة وعلاقاتهم بالمحيطين بهم من جهة أخرى.

وفي الكتاب يركز جونسون على أفكار أولئك الكتاب وعوالمهم الخاصة وعلاقاتهم الشخصية سواء كانت مع أفراد أسرهم أم الحلقة الضيقة المحيطة بهم فيصل الكتاب إلى السيرة الذاتية للمفكرين كموضوع للبحث.

ويركز الباحث في كتابه على الحد الذي يصل إليه المفكرون من الصدق، مبيناً مدى صدقهم فيما يكتبونه وهل سلوكهم ينسجم مع أفكارهم ومبادئهم التي كانوا يعتنقونها.. وهل كان ادعاء حبهم للبشرية جمعاء والعمل على الارتقاء بها وتحريرها وصونها يوازيه حبهم للأشخاص المقربين منهم واهتمامهم بهم.

ويستشهد جونسون بكارل ماركس الذي كان يدعي أن فلسفته علمية، في حين أن المنهج الذي يستعمله في كتاباته أبعد ما يكون عن العلمية، كما أنه كان يتبنى قضية العمال ويناصرهم بينما لم يكن له في الواقع أي علاقة بهم ولم يكن يعرف الكثير عن حياتهم.

ويبين جونسون أن كثيراً من أفكار ماركس كان يسطو للتعبير عنها على أقوال غيره وأفكارهم فبعض أشهر المقولات التي تنسب إليه كانت من غيره، مستشهداً بقول جان بول سارتر إن ماركس كان ما ينفك يهاجم النازية بينما لم يفعل شيئاً واحداً مفيداً للمقاومة الفرنسية.

ويجد المؤلف سمة مشتركة تقريباً بين هؤلاء المفكرين الذين يعبرون عن محبة طاغية للبشرية جمعاء، ويقدمون أفكاراً لإصلاحها لكن حين يتعلق الأمر بالبشر الحقيقيين في حياتهم فإن المسألة تختلف كثيراً.

والأمر الذي يكون صادماً بالنسبة لبعضهم هو أن يجدوا مفكراً يعدونه مثلاً أعلى وله في مخيلتهم صورة ملائكية يسلك سلوكاً مغايراً يخدم من خلاله مصلحتهم أو المهنية.

برغم ما تناوله جونسون وسلط الضوء من خلاله على عدد من الكتاب والمفكرين وكشف سلبياتهم إلا أنه لا يقلل من شأن أفكارهم وتأثيرهم في معاصريهم وفي الأجيال التي تلتهم فيعتبر أحياناً أن الأفكار يمكن أن تختلف عن السلوك.

وتظهر ميول جونسون وتحاملاته اليمينية واضحة في اختيار الشخصيات الموجودة في الكتاب، فجميعها تتبنى الفكر اليساري وإن كان بدرجات متفاوتة.

وبين المترجم الياسين أن ما حذفه في الكتاب لا تصل أهميته ومعرفته إلى القراء العرب بالقياس مع الآخرين الذين أضاف ذكرهم من المثاقفة إلى المنظومة الحديثة.

الكتاب من تأليف بول جونسون وترجمة الدكتور نايف الياسين وهو «مفكرون من ماركس وتولستوي إلى سارتر وتشومسكي»، ويقع في ٤١٦ من القطع الكبير لمؤلفه عدد من الكتب المترجمة منها المخطط الوراثي تأليف روبرت بلومين ومحتوى الشكل تأليف هايدن وايت، وهو مترجم وأستاذ الأدب الإنكليزي في جامعة دمشق ويشغل الآن مديراً عاماً للهيئة العامة للسورية للكتاب .

لوركا الشاعر الفنان

د. ثائر زين الدين

من يقرأ أعمال لوركا الشعريّة يراهُ مفتوناً بالألوان إلى درجة غريبة لكأنّه ينتظرُ من كل موضوع يقتحمُهُ ويروقُ له، أن يقدّمَ له الحجّة كي يستخدم الألوان التي تظّلُ ترتعشُ في أعماقنا طويلاً؛ لنقرأ من حكاية القمر:

«جاء القمرُ إلى دكان الحدّاد
بسرجِه العنبري
وأخذَ الطفلُ يحدّق إليه
.. يّحركُ القمرُ ذراعيه
ويكشفُ بعهر وبطهر صدرَهُ القصديري الصلد
أهرب يا قمرًيا قمرً يا قمر، يا قمر
إن جاءَ الغجَرُ
صنعوا من قلبكَ
عقوداً وخواتم بيضاء.
أيها الطفل دعني أرقص....
ومن غابة الزيتون
طلع الغجَرُ
بألوان البرونز والأحلام....»

وفي قصيدة «الغاليّة والريح»، تخاطب الريحُ الغاليّةَ:

«أيتها الصبيّة
ارفعي ثوبك لأراكِ
وافتحي لأصابعيَ العريقة
الوردة اللازوردية فوق جوفك...»

ولشدة عنف الريح يرسمها لوركا عجوزاً زمرديّة اللون تطارد الفتاة عبر طرق برمائية تختلط فيها البلوريات بأشجار الغار، بينما يرقد الحرس وهم يراقبون الثيران البيضاء، وغجر الماء يتلهّون برفع عناقيد القواقع وغصون الصنوبر الخضراء.

ونقرأ في قصيدة «القبض على أنطونيو آل كامبوريوس» وصفاً بألوان تعبيرية باهرة:

«.. أسمر بلون القمر الأخضر
يمشي برشاقة..
وجدائل شعره الفاحم تتألق بين عينيه
وفي منتصف الطريق قطف ليمونات كرويّة
وألقاها في الماء....كانت أشجار الزيتون تنتظر ليلة برج الثور
والنسيم يمتطي
ظهور الجبال الرصاصية...»

وقد تتساءل ما الذي أراده من جعل أنطونيو يقطع ليموناتٍ كروية ويلقيها في الماء ؟

والجواب إن الشاعر حقق من خلال ذلك غايتين الأولى معنوية فالبطل لاه، غير مكترث بشيء، سعيد، يسير في دربه عابثاً ولا يخشى شيئاً... والغاية الثانية جمالية...إننا أمام لوحة زيتية طبيعية صامتة....تخيلوا ليمونات صفراء اللون تسبح فوق صفحة الماء الزرقاء لكأنك أمام عملٍ للفنان الهولندي الذي أحبه لوركا كثيراً: فان كوخ.. وسيلعب هذه اللعبة كثيراً...لعبة تغني النص بصرياً.

في قصيدة الراهبة الغجرية نقرأ:

«.. فوق نسيج تبني
تطرّز الراهبة
وفي الجو العنكبوتي الرمادي
تحلّق طيور الموشور السبعة..
ما أحسن تطريزها
وبأي لطفٍ كانت تطرّز
فوق النسيج التبني
..زهوراً من نسج خيالها
أي عباد الشمس، أي مانوليا
من الخرَز والأشرطة.. وأي زعفران وأقمار.
على كساء المذبح خمس ليمونات.. وفي عيني الراهبة يعدو فارسان...».

انظروا إلى حضور اللون الأصفر الفاتح...لون الليمون..لون عباد الشمس... الذي يطغى على لوحة الراهبة التي تنهك نفسها بالتطريز... وحين تلتفت إلى جسدها وتنزع قميصها وقد عبرَ في مقلتيها ظل فارس، لا تبصرُ إلا « غيوماً وجبالاً / في الأقاصي المهجورة «فيتمَزّقُ قلبها» قلب من سكر وعشب غض « .. لكأن اللون الأصفر بالمفردات التي شغلها لم يعبر إلا عن الموت القادم إلى جسد هذه الراهبة؛ هذا الجسد الذي لا يجدُ إلا العطش والجوع، فتعود صاحبتهُ من أمام المرآة إلى نسيجها ذي اللون التبني لترسم عليه من جديد...

وكي لا نبتعدَ كثيراً عن تقنيّة رسم لوحةِ القصيدة بلونين فحسب (كما كان الأمر عند أمل دنقل، وفي كثير من قصائد الهايكو) يمكن أن نقرأ قصيدة «خارج السرب» للشاعر السوري صقر عليشي. القصيدةُ مكوّنةٌ من أربعةِ مقاطع تبدأ كما يأتي:

«صوتُ الحليبِ أبيض
أسمَعُهُ
يفيضُ من جوانبِ الإناءْ
تحليقةُ النورس بيضاءُ...
تَحطُّ في مكانِها المتعَة
بينَ الأرضِ والسماءْ»

وستتَملّكُنا الدهشةُ بدايةً كيف نصفُ الصوتَ (وهو ما نلتقطُهُ بحاسةِ السمع) بلونِ ما نلتقطه ونراه بحاسة البصر؛ كيفَ يكونُ الصوتُ أبيضَ، حتى ولو ساعدتنا مفردةُ «الحليب» البيضاء في أذهاننا منذُ كُنّا رُضّعاً على فهم الوصف. لكن الشاعر أرادَ ذلكَ تماماً، لقد أرادَ أن يقدّمَ لنا صورةً جديدةً على ما عهدناهُ من قبل، ومع ذلك سنتقبّلها ونفرح بها، وسنغمض أجفاننا ونرى ونَسْمَع كيفَ تَصبُّ الحَلاّبَة، أو بائِعةُ الحليب لأُمّنا الحليبَ في الإناء حتى يمتلئ، وربّما يطوفُ عن جوانبِ الإناء..

إذاً أشركَ الشاعِرُ في بناءِ صورتِه / اللوحة حاستيِ السمع (صوت) والبصر(أبيض) معاً، وعلينا أن نتلقاها، ونتذوّقها بالحاستينِ معا، وقد فعلنا.

وفي المقطع نفسه يتابعُ فيصنفُ تحليقةَ النورس (وهي حركة محض) باللونِ الأبيض، وعلينا من جديد أن نربطَ بين طرفي الصورة (التحليقة) و(البيضاء) وهنا أيضاً ستساعدنا مفردة ثالثة هي (النورس) وهو أبيض اللون وتجعلنا نتذوّق الصورة حتى ولو كانت عصيّة على الفهم.

ثُمّ يأتي المقطعُ الثاني:

«للياسمينِ عبقٌ أبيضُ
في صباحِ الشّام
لوّنتْ سيرَتُهُ الأيامَ
والرصيفَ
والعُشّاق»

وللمّرة الثالثة نحنُ أمامَ صورةٍ يرسُمُها الشاعِرُ ويطلُبُ منا أن نستخدم حواسنا المختلفة في فهمِها، في تذوّقها، ونحن هنا أمام (عبق) تلزمُنا حَاسَةُ الشمّ كي نُحِسّهُ ونفهَمَهُ ونُميّزه، و(أبيض) وهو لونٌ لابُدّ لنا منَ حاسة البصر لنلتقطه، وسيمنحنا من جديد مفردة مُساعدة تُسّهل علينا الربط بين مفردتين تحتاجان لحاستين مختلفتين.. إنها مفردة (الياسمين)؛ وما يساعدُنا فعلاً أن الياسمين الشامي بطبيعتِه أبيض..

ثُمّ نكتشف أنَ لهذا الياسمين في صباح الشام سيرة خاصة؛ لوّنت الأيامَ والأرصفة التي علينا أن نتخيّل منظرها وقد اكتَست بأقمار الياسمين البيضاء، التي تفوح بعطرٍ خاص لا يُعطي متعته لأي زهرٍ آخر.. وعلينا أن نتخيّل العشّاقَ منذ ولادة الشامِ وهم يتهادَونَ هذا الياسمين، وأحدُهم يَشْكِلُ منهُ خُصلةً في شعر الآخر وما إلى ذلك من ظلالِ هذهِ الصورة الواسعة!

في المقطع الثالث نحن أمام لوحتين أكثر صعوبة مما سبق:

«أبيضُ الضباب مُغْلَقٌ
وأبيضُ الثلج مُشَرّعٌ
على الفضاءْ»

فإذا كانت حاسةَ البصر هي الأساس، وإذا كنّا سنستخدم حاسة اللمس أيضاً فنحسُ على جِلدنا لَسْعَ بردِ نَدفِ الثلج، ورطوبةَ وكثافةَ بخارِ الضباب، فإن سعةَ مخيلتنا هي وحدها القادرة على المقارنة بين المفهومين اللذين تطرحهما اللوحة: الضيقُ والانغلاقُ في أبيض الضبابِ من جهة، والسعةُ والانفتاحُ في أبيض الثلج!!

وإذا كان اللونُ الأبيضُ قد ظَلّ مسيطراً ويرسُمُ اللوحات وحدَهُ في المقاطِع الثلاثة السابقة، فإن لوناً آخَرَ دافئاً هذهِ المرّة هو الذي يُقِّررُ أن يُنهي اللوحةَ بضربةِ فُرشاةٍ واحدة:

«لِكّن نَظرةَ التفّاحِ
وحدها
حَمْراءْ «

لماذا التفّاحُ الآن؟ وما الذي يقدّمُهُ هذا المقطع على صعيد المعنى؟

من الصعوبةِ بمكان أن نقدّم إجابةً شافيّة، لكن الواضِحَ في الأمر أننا أمام فَنّان يرسم؛ فنان يُريد أن ينهي لوحَتَهُ، وها هو ذا يحسُ أن الأبيضَ البارِدَ المحايد لا يمكنه وحده أن ينجزَ لوحةً تشكيليّة، فلا بُدّ إذاً من لون آخر يَخْلِقُ التوازنَ في فضاء العمل، ولا شكّ أن لوناً دافئاً كالأحمرِ هو المطلوب؛ إذاً نحن بالدرجةِ الأولى أمام إحساس فنانٍ تشكيلي يرسم. ولعلّ العَنوانَ يشي بذلك منذ البداية «خارج السرب» فالشاعر يَعتقدُ أنّهُ يقدّمُ نَصّاً مختلفاً عَمّا حوله؛ والاختلاف يتجلّى في أنّه يرسُمُ لوحةً بالكلماتِ ويقدّم نصاً تشكيليّاً إلى حد بعيد.

ونقرأ لصقر عليشي أيضاً قصيدة «الأزرق»، التي تقدّمُ للمتلقّي إحساسَ هذا الشاعر باللون الأزرق، وسيطرةَ هذا اللون على عالمه، بما يمثله من شفافيّةٍ وسموٍ وحُلم وحياةٍ وعطاءٍ وسحرٍ وغموض وهذا طبعاً ما تقولهُ أسطر القصيدة:

« منذُ زمانٍ
يسحرني هذا اللون الشفافُ
لو كنتُ كتاباً

لم أخترْ - بالتأكيدِ - سواهُ غلافْ
لو أني نافذةٌ
لبقيتُ عليه مفتّحة
ورميتُ على الطرقاتِ الأبوابْ
لو أني قلبٌ
كان الأزرقُ لونَ دمائي
المنسابْ
لو أني مطرٌ
ما كان يسيل بغير ترقرقهِ
الميزابْ
× ×
هو في الأصل سماويٌ
وهو لدى أمواج البحر
مضافْ
فصلتُ ستائرَ
أحلامي منهُ
وأطلتُ....
ولم أتحاشَ الإسرافْ».

والحقيقة أن هذا اللون سيطرَ ويسيطرُ على عوالم كثير من الفنانين والشعراء، فمن لا يذكر المرحلة الزرقاء في إبداع بيكاسو، ومَن لاً يلفتهُ الحضور والتردُدِ الكثيف لهذا اللون في قصائدِ الشاعرة آنّا أخماتوفا(١٨٨٩-١٩٦٦)، بصفته الطبيعيّة أو بمرموزيّته، كما في الأمثلة التالية المأخوذة من قصائد مختلفة:

«كل شيءٍ لكِ : صلاتي اليوميّة
غيبوبة الحُمّى وسهادها
أشعاري ((السرب الأبيض))
والحريق الأزرق في عينيّ»

أو كقولها:

«وأظلمَ في السماء الطلاء الأزرق
وتعالت أغنيةُ الناي»

وقولها:

«إلى هنا.. اجلس قريباً منّي،
وانظر بعينينٍ فرحتين:
ها هو ذا دفترٌ أزرق
يضمُ أشعاريَ الطفوليّة «

وقولها:

«الشمسُ العُنّابيّة
ترتفعُ فوق دخانٍ أزرق أشعث.
أما مضيفي فصامت
ينظرُ إليّ بصفاء»

أو كقولها:

«لكنّ طيرَ الحمام الأزرقَ عاد،
وراحَ يضربُ بجناحيهِ زجاجَ نافذتي،
فامتلأت الغرفةُ المتواضعة بضياءٍ
كأنّهُ يصدرُ عن مُسوح قدّاس بديع».

ولقد عَرَفَ الشعرُ قبل الزّمن الذي نتحّدث فيه بكثير، وبالتحديد عام ١٨٧٢ تجربةً شعريّةً على درجة كبيرة من الجسارة في هذا السياق، لقد حاول صاحبها - على ما يبدو - أن يحوّلَ الحروفَ إلى ألوان، في محاولة للبحث عن اللغة الشعرية القادرة على التعبير عن الحواس كلها في وحدةٍ كامنة. إنه آرثر رامبو (١٨٥٤-١٨٩١) والقصيدة التي أعنيها هي «حروف اللين».

قراءة في ديوان من ذاكرة الصّمت

نبوغ محمد أسعد

في مجموعة الشاعر وليد حسين من ذاكرة الصمت تمسك بالأصالة والعراقة ونبل الأخلاق، وهذا دليل تمكنه من موهبة الشعر التي عكس من خلالها أفراحه وأحلامه وأحزانه فهي تعيدنا كما جاء في مقدمة الكتاب للدكتور محمد الحوراني.. إلى معلقات الشعر العربي التي كتبت في العصور القديمة ومافيها بحسب الدكتور الحوراني من فكر وثقافة.. لقد تمكن الشاعر وليد حسين من نقلنا إلى الأجواء وهو يخوض في تمنياته، ويعطي التمرد وصفاً لم يسبقه إليه أحد مستشهداً بقوله: وأشجب كل صوت ماعداها على أن التمرد بعض خمر، وقوله أيضاً: فما ليل الصبابة رق نفسا إذا لم يرتشف من ريق ثغري أرى الأيام تمخر في غياب كزلزال يروع ببيت فقري وفي المجموعة الشعرية نجد أن الشاعر ينتمي إلى محيطه وعالمه ووطنه الذي يئن بصمت ويعاني بكبرياء.. صرخات الوجع المكتوم والصامت على خيبات ومؤامرات انتابها الظلم والمرارة، ليصل في النتيجة إلى رؤية شفافة وصادقة تقضي بوصول الوطن إلى مايحلم به ناسه، هذا الوطن الذي تتحرك المشاعر في النصوص لتدعوا إلى الصراخ والمواجهة فالشاعر عندما يكون لاعباً ماهراً يتحرك بأحداث شعره عن معرفة ووعي ودراية لأنه يدرك ماذا يجب أن يكون وتأخذه ثقافته ومعرفته إلى صياغة نصوصه بتقنية وفنية، وإدراك، المنجز الذي أمامنا.. يشعرنا بالهم والحزن والألم.. فلابد من الوجع والغضب على عدو عبث بجمالياتنا وجرح قلوبنا وجعلنا في وحشة الاغتراب، يقول في قصيدته لواعج مترامية: ولي مع الصبر درب ضج محتدما لكي أصارع وهما من رؤى سعة ألست رهنا إلى أمر يكبلني مازال ينأى شرودا دون بوصلة وسار كالموج مشدودا إلى جهة وماستكن بلا استحضار أمكنتي . ولما حملته قصائد المجموعة من الإيحاءات والرموز والصور تباينت القصائد والأماكن والشخصيات بعد مرورها على خياله فكانت مؤثرة توثق ارتباطه بوطنه وجذوره ومايحمله من محبة للإنسانية التي يبشرها بالأمل ويعدها بتحقيق الحلم ويشدها إلى رفض الانكسار والظلم والإهانة والقبح ثم يحلق في الفضاءات الشعورية والخيالية الواسعة ليكون الجمال وينشده فيقول: فكم أناشد مهما جز من خجل سحابة الصيف من أفياء مرتهن إني مقيم وحسبي بعض شاهقة حطت مناكب وعي في ربا السنن الآن أدرك أنني خير محترز ذاق الجفاء توارى عنه لم يهن، وفي احتراف شعري وإبداعي جاء بقصائده الموزونة من دون أن يقع أي خلل أو سلوك غير متوازن باستخدام تفعيلات قبيحة فحقق للقصيدة وثوبها الذي يجمع بين الأصالة وتطلعات الحاضر، فجاءت جماليات وانعكاسات مدهشة كماجاء في قصيدة (العابرون إلى ضفاف) التي اقتطفت منها: العابرون إلى ضفاف جمة وبها انثيال مثل ريقك يغرق يتذوقون من القصائد كلها مابين قافية بركبك تشهق وتشيد من خيط انتشائك سكرة بكؤوس خمر بالحفاوة تطبق، وكلما سرنا في ممرات المجموعة الثرة يشع في وجهنا نور آخر لمواضيع ومضامين عديدة فنجد أن الشاعر يسكنه الوطن ويؤرقه الاغتراب وبرغم كل ما يحيط به فهو لايبخث المرأة حقها وتأتي في نصوصه بحالات مختلفة وفي بعضها يعاتبها لقسوة الاغتراب ومافعلته الأيام فيقول: كم كان ينقصني الوداد وليتني أبحرت متخذا سبيل غرابة يا أنت ياكل النساء تفتحت روضاً أتته الريح يوم وفادة، ماكان أحوجني للحظة عابر حتى انحنيت إلى شواطئ غاية مازلت وهجاً يستكين بحيرة وكم اصطلى حزناً بغير قناعة وفي هذه المجموعة ثمة موضوعات أخرى تواصل فيها قدرة الشاعر على إثبات وجودها خلال المواقف والحالات المتنوعة التي سلطت الضوء على حالات اجتماعية كثيرة مثل الرثاء والثأر والخداع وغيرها فهي تجارب مرت على وجدان الشاعر، ولاسيما التي رصدت عواطفه بكل أشكالها فوصل بها إلى تقديم الواقع بألوانه والمقارنة بين الماضي والحاضر برغبة كبيرة في تبديد الظلام وفي قصيدته.. ويبيح لي كشف الغمام يقول: والشوق يحملني إليك فما جرى دون احتراز.. هل أراك مبعثراً تتباطئ اللحظات مابين اغتراب استعيد ملامحي متأخراً متخطياً كل الحواجز والمدى مستغرق يبدو كئيباً منذراً دعني أحلق في تخوم مجرة فأصيب نجماً شاهقاً مستعمراً، الشاعر وليد حسين عضو اتحاد الكتاب العرب وعضو اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين ..له مؤلفات في الشعر منها ، لهفي على زمن تباعد ..وظللي هناك ..وصدى لزمن الغربة وغيرها مانشر في سوريا والعراق ولبنان والدول العربية وله مشاركات على مستوى الوطن العربي وحاصل على عدة جوائز إبداعية في الشعر ..وهو صحفي وإعلامي.

بقعة حبر

الشّعرُ ذنبٌ قاتل

رنا بدري سلوم

أتذكرون كراستكم المسائيّة الأولى، جانب وسادتكم، أو بمتناول أيديكم أينما كنتم، تكتبون، تمحون تلعثم حروفكم، ثم ترمون أفكاركم المتصدّعة في سلّة المهملات؟، أتذكرن أيّتها النساء حين تركُنُ أفكاركن لتغدو رهن إشارة للوقت!، تتركن تنظيف المنزل، لتكتبن الفكرة العالقة قبل أن تسقط سهواً في سطل الغسيل وفي إناء الطّبخ، قبل أن يهب ضجيج الحياة ويقذفها إلى الفناء دون رجعةٍ مع صراخ ابن شاكٍ وطفلٍ باكٍ؟.

نكتب سرّاً نحتفظ بما كتبناه شعراً وأدباً فإمّا أن ينشر ونحتفي بولادته ونحن على قيد الحياة، أو يخلق يتيماً دوننا.

ليس تحيزاً للمرأة في أيام الشّعر بقدر ما هو تذكر نساء شاعرات أمّهات احتفين بكتابة الشّعر كبلسمٍ شافٍ للجروح كمضاد اكتئاب مؤقّت، كتبن في الظّل، حتى أصبحن فيما بعد ظاهرة شعريّة نسائيّة، منهن الشّاعرة « مارينا تسفيتايفا» التي لا تشبه أحداً، لغتها الهادرة جعلتها تواجه الموت في كل حرف وتلوم الحياة مع كل قصيدة، وهي القائلة «سيحين وقت أشعاري، شأنها شأن النّبيذ النّادر»، لكن وقتها لم يحن إلا بعد موتها، أو بعد انتحارها.. مارينا من أهم الشّاعرات الرّوسيات اللواتي تركن لغة ساطعة في سفر الشّعر الروسي، بطابع رومانسي غني بثيمات القهر والتشرّد والتعاطف مع المنبوذين، كتبت عن اليوميّات التي عاشتها كنادلة وغاسلة صحون لتطعم ابنتها، وصور الحياة اليوميّة لأبناء مجتمعها، ومع كل هذا القهر بقيت تكتب للحبّ الحبّ حتى بات قبرها في «بيلابوغا» قِبلة لعشّاق الشّعر الروسي الأصيل، لها جملة شهيرة «في سفر الفناء، لا غواية للنساء، إنه فن الحّب، لنساء الأرض كلها، في القلب سمّ العشّاق والسمّ أصدق، فالمرأة منذ المهد، ذنب قاتل لأحد ما، ما أبعد الطّريق إلى السّماء! ما أشد تقارب الشّفاه في العتمة! رباه، لا تحكم علينا.. لأنك لم تكن امرأة على الأرض».

احتفاء بالشعر

رفاه الدروبي

حفل شهر آذار بالعديد من المناسبات الثقافية المهمة العام الحالي، وتبدو حاضرة بقوة وليست آنيّة: ولادة الشاعر نزار قباني من خلال آرائه في الإبداع، ومرور مائة عام على ولادة حنا مينه بعد أن صار حكّاءً، واختيار الشاعر صقر عليشي للاحتفاء به عربياً وتميُزشعره بأصالة التجربة وحداثتها تكريم شعراء سورية الشاعر منذر يحيى عيسى اعتبر أنّ تكريم الشاعر المتألّق صقرعليشي عربياً تكريماً لشعراء سورية كلِّهم، كونه شاعراً رؤيوياً بامتياز له فرادته في الإبداع الشعري. كم أسعده جداً، عندما قرأ كتاباً بعنوان :»دراسات عربية في فلسفة العلوم، رؤى في العلوم» ، للدكتور محمد غفر الباحث في الطاقة الذرية، وباعتباره أديباً له أكثرمن عمل روائي، لافتاً إلى أنّه تعرّف إليه من خلال روايته «أقاليم منسيّة» الصادرة عن وزارة الثقافة، إضافة للعديد من الكتب في البحث العلمي. وخاصة حين وجد المقطع الشعري الآتي للشاعر (صقرعليشي) في سياق بحث علمي: « هكذا نحن لا أبسطَ منّا ! لا أطيبَ منّا ! مُستعدُون لأن نسقط لكن كحبات المطر « يتابع الشاعر عيسى بأنّ الباحث اكتشف أيقونة جميلة من استقراء تفاضلي لجمالية المنظومات المائية، فالتوصيف سعي ووعي، والسقوط حركة، وانتقال وأداء، ودلالات فيزيائية في حين أنّ حبّات المطر ؛ كانت منتجاً تفاضلياً ينمُّ عن مقدرة استخلاصية راقية، ورمز للعطاء والصيرورة، منوّهاً بأنّه يشعر بسعادة وفرح غامرين؛ حينما قرأ للباحث في حينها على صفحتي الشعر ويرى فيه جماليات، وحقائق العلم. وأشار الشاعرمنذر إلى أنّ الشاعرصقر عليشي يقتطع من جسده وروحه شعراً، يجري بعفوية نبع يتدفق عنوة من بين صخور جبالنا، لأنه يكتب بعفوية وصدق.

يسيطر عليها المنطق والبساطة والرؤيوية، هدفه عالم خال من الشرور؛ يسوده الحبّ والوفاء والإيثار؛ منسجماً مع مايؤمن به من أفكار ومع ما يحمله من مبادئ فصقر عليشي له خطّه الشعري الخاص وليس مقلداً، وربّما يكون متأثراً بآخرين، واستطاع أن يكون له خطّه المميز، إنه الشاعرالقادم إلى المدينة من ريف غني؛ لم يستطع الفكاك من سحر مشاهده الساحرة، كما لم يستطع مغادرة طفولته؛ وفق رؤية الشاعر منذرورأى بأنّه نبع يرفد نهر إبداعه الشعري؛ ولاينضب ويرافق مسيرة حياته وإبداعه من منجزه الشعري أذكر/ كتاب اللمحات /، فسحرني بعذوبته وبساطته وعمق محتواه. حساسية خاصة كما بيّن الناقد أحمد علي هلال بأنّه من خلال افق الشعرية الجديدة وحركتها وديناميتها الحداثية وفي انعطافاتها التاريخية تبرزأصوات دلّت على حساسية خاصة على مستوى تشكيل الرؤيا وانفتاح المعنى وأصالة التجريب، ومنها صوت الشاعر صقر عليشي وحضوره المكين في منجزه المتواتر وعلى مساحة الشعرية السورية والعربية بكل محمولاتها الفكرية والمعرفية تجديداً في نسق القصيدة العربية وليمنحها زخماً رؤيوياً باذخاً وبكلّ ما اشتملت تجربته عليه من تقاطعات واشتغالات على مستوى حداثة الفكرة والصورة والسياق فكانت تجربة باذخة بعلاماتها، شكلاً ومضموناً ومتناً مغايراً وتوقداً في الذهن الشعري وتخصيباً لقصيدة الرؤيا، ما يمنحها الشاعرعليشي أبعاداً جديدة تقوم على هندسة الإيقاع وتشكيل الصورة. ثم أوضح الناقد هلال بأن الجهر بالكثافة الجمالية يمنح القصيدة أكواناً متعددة من التأويل والقدرة على اجتراح شعرية الاختلاف ومساءلة القصيدة بوصفها تجربة مفتوحة على ذروات من التجريب الخلاق بما يغتني بمكونات درامية واضحة واستثمارلمعطى حداثي سنراه في التعدد والتنويع داخل ثقافة النص الشعري وصولاً إلى حرارة التجربة وتمثلها بوعي أصيل والانطلاق منها إلى غير أفق جمالي لا يكتفي برؤية الذات بل العالم والآخر لتصبح مدوناته الشعرية تشكيلاً كثيفاً للمعنى الشعري وافتراعاً لأدوات قادرة على صوغ تلك العمارات الواسعة ليشير بديوانيه: «معنى على التل» و»أسطورة فينيقية» وما تنكبه الشاعر في مغامراته الواعية للقبض على دالة المعنى عبر مرئياته وسردياته الشعرية مُكثّفاً فيها موقفه الجمالي من الذات والآخر والعالم والأشياء. في حين أشار بأنّه يمنح قصائده عبوراً جديراً إلى أبدية البقاء فلا عحب إذن أن تختاره الألسكو بوصفه الصوت الأكثر تمثيلاً للثقافة العربية وبما أنجزه من مدوّنات قادرة على أن تلهم وتبث ثقافة عابرة للثقافات في تقاطع محسوب لكونية الشعر وجدواه في زمن شعري مفارق. يحضرالكبار نجوماً بدوره الشاعر جابر أبو حسين أفاد بأنّ كلّ الأعياد تلتقي في حفل يدعو إليه الشعر في يومه فتحضر المرأة أرضاً وأماً وحبيبةً وربة للخصوبة، ويحضر الكبار نجوماً وصانعي عطر وأثر خالد تصهل خيول الذاكرة فيظهر فارس قصيدة ملأت البلاد وطلبتها جماهير الشعر فحفظتها وغنتها وحجزت معها على متن رحلة يقودها نزار قباني المسافر الحاضر ليس بشعره المحرض أن يكون كالخبز يصل إلى كل الناس فحسب وإنّما بما تركه من أثر نثري لايقل نضارة عن شعره، متضمناً آراءه النقدية وتصوره لفن الشعر وحركته وتطوره، مبرزاً الكثير من مفاهيم خاصة ألبست القصيدة حللاً عصرية أظهرت انسجاماً أنيقاً بين فتى الشعر الثائر وشيخ النقد المجدّد . ثم يتابع الشاعر أبو حسين بأنّ ربّان الرواية السورية يدخل من أوسع الأبواب مبحراً في الذاكرة رغم أنواء الغياب يحضر حنا مينه ياطراً ومصباحاً وشراعاً ويمّاً، ونكتشف أنّنا مازلنا نراه أكثر اتساعاً من بحر، ثمّ نُحلّق عالياً مع قصيدة صقر حيث خطت مساراً جميلاً شفيفاً لها فطيرها فراشة وعصفوراً وفكرة لماحة عاليةً فانتشرت عطراً وألواناً وتغريداً يتردد صداه اليوم في الفضاءات والمدن، فنشعر بمتعة الأدب ونشوة الشعر حقاً ونستحضر عوالم حنا مينه وروائع نزار لكنّنا نرفع الآن نخب الدهشة والسمو لصقر عليشي فرحين فخورين بتكريم أعلنته الألسكو ونعتبره تكريماً لنا جميعاً وللشعر الحق.

وتر الكلام

مناخات شعريّة

سعاد زاهر

في زمن سابق كان للشعر دور لا يضاهى ولاتزال تلك القصائد التي كتبها شعراء خالدون أبداً كلما عدنا إليها تنقلنا إلى عالم يفيض إبداعاً وحكمة، ونحن نحتفل بيوم الشعر العالمي، كيف يتبدى واقعنا الشعري، وهل من ملامح شعرية عصرية تعريش على الآني وتفرضه بقوة كما فعل السابقون؟.

في وقت ما حين تحاصرنا الأزمات يبدو أن الخلاص ليس شعرياً، ولكن حين تبقى زمنا طويلاً وتنفلت الحلول من أيدينا، ألا يبدو الخلاص الشعري هو الأجدى لأنه يمنع عنا الأذى الروحي ويعيد إلينا التوازن النفسي، ويرفع نشيد الجمال في وجه المعاناة سعياً للخلاص، ويعنينا على الإدهاش ويحملنا على الحلم بمنأى عن لحظتنا المستعصية، مما يعنينا على عبورها.

لا يمكننا في أي وقت من الأوقات الاستغناء عن الشعر والشعراء، على العكس تماماً ونحن نعيش عصراً يجرف القيم وجماليات الفن وحكم الفلسفة يصبح للشعر ضرورته حتى تتخلص لغتنا من بعدها الاستهلاكي على مواقع التواصل ومن كل هذه السطوة الإعلامية التي تميل بنا نحو الهشاشة بعيداً عن معرفة الذات واستكشاف الآخر.

حتى لو أن التوكيدات حالياً تقول إن زمن الشعر ولى، لا يفترض الرضوخ لابد من رفع الصوت الشعري حتى لا نساهم في ترسيخ القبح والعنف، وكي لا يخفت السؤال الفلسفي.

لا شك أن هناك أعطاباً للممارسة الشعرية لكن الإنتاج الشعري يتزايد إما على مستوى المقروئية والرواج والتلقي فأعطابه تتفاقم يختلط فيها مجموعة اعاقات.

لابد من الاهتمام بالمناخات الشعرية وبكفاءاتها وتأمين عبورها إلى اللغات الأجنبية وقبل كل هذا ضمان كرامة الشعراء وعيشهم الكريم.

من العالم

النخب الثقافية العربية... بين الأمس واليوم

وفاء يونس

كيف يقيم المتابعون النخب الفكرية العربية وما أنجزته هذا ما اخترناه من العالم اليوم، وتحديداً من مجلة العربي إذ عزيز العرباوي في باب فكر وقضايا عامة العدد ٧٨٤ قائلاً: يبرز دور المثقف في المجتمع من خلال ما يتركه من أثر إيجابي في تغيير الوعي الفردي والجماعي لدى أفراده، سواء من خلال ما يساهم به من فكر وأدب وعلم وإبداع، أم من خلال ما يثيره من أسئلة مشروعة حول مواقف وأفكار تتداعى من هنا وهناك، هذا الدور منوط به بالدرجة الأولى لأنه يمثل بشكل أو بآخر ذلك المنقذ من الأمية والجهل بالشيء والواقع، فكل مثقف لا يمكنه أن يحقق هذا الشرط إن كان في غنًى عن هذا الدور الكبير الذي يمنحه المكانة اللائقة به داخل مجتمعه؛ وإلا كان وجوده كعدمه، فدوره الكبير في توعية الناس وفهم الواقع ومحاولة قراءته بشكل يوحي بقدرته على تحليل الأحداث والوقائع وإنتاج المعرفة واكتشاف صور التفكير الاجتماعية السائدة وتصحيح الخاطئ منها، هو أساس وجوده وحضوره كفرد فاعل في مجتمعه ومحترم بشكل كبير وقوي.

إن الإنتاج الثقافي في حاجة إلى نخبة مثقفة قادرة على إبداع سبل وأساليب مختلفة ومبدعة تهدف إلى التغيير، تغيير الواقع المعاش والذي يمثل عرقلة لإصلاح الوعي المجتمعي وتشكيله من جديد وفق نظرة متجددة لا تعيد إنتاج السائد ثقافياً والمألوف اجتماعياً، ولعل ما نعيشه اليوم من انتكاسات وانكسارات متعددة على مستوى الموقف والوجود والحضور الفعلي عالمياً يظهر مدى فشل منظومتنا الثقافية والاجتماعية في خلق نخبة قادرة على إحداث التغيير وتشكيل الوعي لفهم العالم وأقطابه وأشكال تفكير شعوبه المتنوعة.

إن اندفاع المثقف العربي اليوم إلى تبني مواقف سياسية وأيديولوجية غير محسوبة العواقب لا يمكنها أن تحقق الهدف الأساس الذي يرتبط بمدى تحقيق التغيير الفردي داخل المجتمع، ولا تحقيق الغاية الكبرى المتمثلة في خلق أثر حقيقي لدى الآخر في عالمنا الذي تتشكل فيه الأحداث وفق سياسة محددة المعالم ووفق الواقع الذي لا يرتفع. فأن يتسرع المثقف العربي اليوم في تبني موقف معين دون أن يضع في حسبانه مدى نجاعته في تحقيق هذا التغيير ومدى تطابقه مع الواقع ومع ما تُبنى عليه المواقف الصادمة في أغلبها، فهو أمر يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن مثقفنا العربي أصبح مزاجياً أكثر من كونه مثقفاً متأنياً واعياً بأهمية الوقائع والأحداث العالمية، ونحن هنا لا نرغب في محاسبته بقدر ما نهدف إلى إحداث رجة فكرية لديه حتى يدرك مسؤوليته العظيمة الملقاة على عاتقه.

ويرى المفكر عبدالحسين شعبان أن السلطة التي مُنحت للمثقف حرمة، مثلما لمعرفته حرمة ومكانة، وهي حرمة أو مكانة لدى صاحبها أولًا، ومن لا يحترم وسيلته الإبداعية لا يحترم حرمته وسلطته، وبالتالي فإن نكوص المثقف وتراجعه عن سلطته، أي تنازله عنها يعني عدم احترام ثقافته، وبالتالي معرفته وسلطته الخاصة. ولا يمكن تعزيز سلطة المثقف وتحريره مما يمنعه عن الإبداع، يكمن في إشاعة الحريات العامة والخاصة، ولاسيما حرية الفكر والإبداع واحترام حقوق الإنسان في أرقى تجلياتها. ومهما تعددت إمكانيات المثقف العربي في العقود السابقة ووسائلها في المواجهة والصراع مع القوى المحاربة للتطور والوعي الثقافي فإنه وُوجه بالتحجيم من أجل إضعافه والتقليل من شأنه في المجتمع، وبالتالي التقليل مما يقدمه من إبداع علمي وفكري وفني وأدبي.

مثقف الأمس... مناضل شرس

لقد ساهم مثقف الأمس بشكل كبير في إرساء الوعي المجتمعي بمدى فاعلية النضال الثقافي والسياسي والاجتماعي وفق أيديولوجية محددة الأفكار والمعالم وأساليب الرأي التي راجت في تلك الحقبة؛ ونخص بالذكر هنا مثقف النهضة وما بعد النهضة الذي استطاع أن يكرس نوعًا من التفكير الثقافي والتعبير النقدي لمواقف وسلوكيات وأفكار سادت في زمن الصراعات والانكسارات على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي. هذا المثقف المناضل الذي كرس نفسه صوتاً جهورياً مدافعاً عن الشعوب المستضعفة والمقهورة لم يألُ جهداً فكرياً أو إبداعياً في أن يجعل نفسه صوتاً لمن لا صوت لهم ومنبراً لمن أغلقت في وجوههم جميع المنابر، للتعبير عن معاناتهم وإحباطاتهم ومخاوفهم من المستقبل؛ فكان بذلك الصوت القوي والرادع للكثير من الأنظمة المستبدة الفاسدة في وطننا العربي كله.

تمكن مثقفو الأمس كما حددناهم مسبقًا من مواجهة القوى المستبدة الداخلية، بل هناك من تجرأ منهم بقوة على مواجهة الغرب وثقافته الإقصائية الاستعمارية التي تمكنت من إيجاد موطئ قدم لها داخل بلداننا العربية واستحكمت بقوة بوساطة العديد من نخبنا العربية المثقفة التي استطاع الغرب اختراقها بوسائله الإغرائية المعهودة، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على قيمة بلداننا في نظر الغرب منذ قرون؛ ولذلك نجده (أي الغرب) يحاول دائمًا التوغل في ثقافتنا ومحاولة اختراقها وضربها من الداخل وتشويهها بكل الطرق والأساليب الشيطانية، بل يدفع إلى فرض لغته وثقافته على أرض الواقع وفق استراتيجية محكمة، وما يحز في النفس هو انخراط البعض من مثقفينا في هذا الاختراق الخطير، كل هذا تمّ في مراحل تاريخية في نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين، لكن الأجمل أنه وجد من يقف ضد مخططه الخطير هذا من نخبنا المثقفة التي واجهته بكل ما تملك ونجحت إلى حد بعيد في الحد منه أو على الأقل تأجيله.

وفي هذا الإطار، يمكننا تأمل الأفكار التي طرحها العديد من هؤلاء المثقفين العرب السابقين الذين تبنوا تصورات كبرى ومتقدمة لتطوير الثقافة العربية والتعليم وأساليب التفكير واستراتيجيات الإبداع الثقافي والأدبي والفكري والعلمي من خلال تبني نظريات عربية تراثية ومحاولة تلقيحها بما جاء في النظريات الغربية بما يتلاءم مع خصوصياتنا الثقافية والاجتماعية والتاريخية. لقد قامت أطروحاته وتصوراته النقدية والفكرية على مبادئ وأسس علمية محددة تبنت أسلوب الهجوم الفكري والمواجهة في إطار صراع فكري مع قوى ثقافية وسياسية أخرى مخالفة له في الرأي والموقف، ومع أفكار دخيلة على المجتمع العربي المحافظ على قيم وتقاليد سادت لقرون خلت يصعب تجاهلها أو التخلي عنها لصالح قيم غربية غريبة لا تمت بصلة إلى ما تشبعت به الثقافة العربية وحافظت عليه منذ بداية الإسلام وبروز الدولة العربية الموحدة.

ومع توالي العقود والسنين، برزت في أفق الثقافة العربية، قوى فكرية وعلمية ذات نزعات مختلفة متعددة التصورات الفكرية والعلمية، قدمت حلولًا أخرى كانت في أغلبها مربكة ومفسرة لقضايا عربية مطروحة قامت أساسًا على فكرة التغيير والإصلاح؛ بل قامت على مبادئ امتلاك الحقيقة ونقد الواقع والسائد ومحاربة المألوف والثقافة المؤسسة على القيم التراثية والتاريخية التي دامت لقرون كثيرة محافظة على القليل من وجودها وحضورها القوي أمام باقي الثقافات الأخرى. هذه القوى الفكرية الجديدة انطلقت من مسلمات غريبة عن الثقافة العربية، في إطار شامل متكتل ينبني على الهجوم على التقاليد والتراث وضعف الثقافة العربية والإسلامية في مواجهة المد الفكري والعلمي الغربي الذي يكنس كل شيء أمامه ويدمر كل مقاومة وصمود في طريقه لا يترك شيئاً ولا أحداً إلا دمره.

النخبة المثقفة المعاصرة

لقد استفادت هذه النخبة من الوعي الثقافي العربي الجديد والذي تطور مع مرور الوقت، واستطاع أن يخلق لنفسه حيزاً فكرياً وثقافيًا داخل المجتمعات العربية، بل برزت كبديل حضاري قادر على تقديم الإجابات على العديد من الأسئلة الفكرية والعلمية والفلسفية المطروحة؛ إضافة إلى ادعاءاته اليومية بقدرته على معالجة كل المشاكل الحقيقية التي يعيشها المجتمع العربي قاطبة وفق نظرة متجددة منفتحة على الآخر بشكل إيجابي والقطع مع كل ما هو تراثي لا يقدم تفسيرًا واقعيًا لأسئلة الحاضر.

فحلُ الإشكاليات الفكرية المطروحة من وجهة نظر هذه النخبة المعاصرة يكمن في خلق صدام داخلي بين مختلف الفئات الفكرية التقليدية والاتجاهات المعاصرة، وبينها وبين الآخر وفق منهجية علمية وفكرية محددة سلفًا واستبعاد المعتقدات والأيديولوجيات وطرحها جانباً أثناء النقاش والحوار، ويكمن هدفها من كل هذا، في جعل ثقافتنا العربية ثقافة كونية تتمركز في تفاعلها وانفتاحها العالمي؛ وهذا لن يحصل إلا من خلال تجاوزها لكل ما هو تقليدي وعبورها النفق الذي رسمته النخبة المثقفة السابقة في عصور عرفت فيها صراعات وتصدعات على مستوى التفكير والإبداع.

تشكلت تصورات النخبة المثقفة المعاصرة حول القضايا الوطنية والقومية التي عرفتها مراحل أساسية في التاريخ من خلال وقوفها على العديد من التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية، حيث استطاعت أن تقرأ هذه القضايا وفق قناعات وأيديولوجيات واضحة المعالم ومحددة الغايات والأهداف. بل لقد تمكنت هذه النخبة من إبداع أشكال مختلفة من المعالجات والتحديدات التي واجهت الكثير من المصاعب والصراعات؛ وفي هذا الصدد تطور الفكر العربي في إطار من التفكير المتنور والتجديدي الذي حدد آفاق الحوار والنقاش الحقيقي لكل قضية عربية على حدة. ولقد برزت في الأفق بعض النخب المثقفة من الباحثين وأهل الأدب والفكر، وبالرغم من حضورهم الفكري والعلمي والثقافي فإنهم لم يستطيعوا الانسجام داخل مجتمعاتهم بخلاف النخبة المثقفة السابقة، بل لم يستطيعوا إيجاد مكانة حقيقية داخلها بفضل ضعف تأثيرهم الحقيقي والإيجابي في الأفراد نظراً لفشلهم بدرجة أو بأخرى في خلق دينامية ثقافية ومعرفية بين أفراد المجتمع الذين تعرضوا إلى الاستلاب الثقافي الغربي وصاروا ضحايا لتطور تكنولوجي استهلكوا منه السلبي عوض الإيجابي.

تحولات متسارعة

لقد عرفت الثقافة الإنسانية عمومًا تحولات متسارعة منذ العقود الأخيرة، على الأقل ثلاثة عقود، حيث هجرة العقول وسفرها الثقافي والفكري عبر ربوع العالم، في علاقته بالآخر أينما كان. كل هذا من أجل بناء منظور ثقافي مختلف عن السائد والمألوف عربيًا، ومن أجل تكريس حرية الفرد بالدرجة الأولى. إن النزعة التي ينطلق منها المثقف العربي المعاصر، هي نزعة إنسانية تقوم على خلفيات تاريخية واجتماعية وثقافية وتصورات غير جاهزة مبنية على تفكير نهضوي ووعي متعدد. فلا ينبغي أن يكون هناك تعسف معرفي من حيث التصورات الفكرية النمطية تجاه قضايانا العربية، أو تكون هناك سذاجة ثقافية تتمثل في انطباعات فكرية مجردة عن كل تفكير منطقي وعلمي يستمد إبداعيته وعلميته من خلال النظرة الانفتاحية للعالم والآخر.

ولتحقيق كل هذا الذي تحدثنا عنه سابقاً، ينبغي تحصين الوعي الفردي والجماعي معًا، وتحصينه بقوة الفكر والثقافة السليمة لمقاومة الصدمات ومواجهتها ومحاربة الصور النمطية التي تقف سدًا مانعًا أمام التفكير المتنور والمتطور وفق تطور الإنسان وفكره ونمط تفكيره تجاه العالم والآخر. وبذلك ينهض الفكر العربي بوظيفة أساسية ومهمة في بناء الثقافة العربية الحقيقية وإعادة الاعتبار إليها وحمايتها من الاختراق بشكل أو بآخر كما وقع في فترات تاريخية من تاريخ الأمة مازالت آثارها السلبية تسيطر عليها إلى يومنا هذا. فالتعايش بين الشعوب والثقافات العالمية يمنح دفعة قوية لخلق دينامية إنسانية لتجاوز الصراعات والصدامات الحضارية والثقافية وانتهاك الأمن والسلم العالميْن؛ وبموازاة ذلك ينبغي بذل كل الجهود الثقافية الدبلوماسية لبناء جسر ثقافي متين يقوم على الالتزام والتضامن الإنساني.

الكتابة المشتركة

علم عبد اللطيف

شهدت العقود القليلة الماضية في منطقتنا تحديداً، وربما في غيرها، تطوراً ملحوظاً في كتابة النصوص الأدبية.

مال البعض لتجنيس النصوص سعياً لمأسسةٍ قد تتمّ إبّان حراك متسارع، شهدنا فيه مصطلح قصيدة الومضة، والقصة القصيرة جداً.

هذان الشكلان تحديداً، جرى التوسّع في كتابتهما، باعتبارهما صارا جنساً أدبياً تم تكريسه، وله أدواته الخاصة.

لكن المسألة كما نرى، لا تقف عند تكريس أو تسويق شكل معين للركون إلى أصالته بحكم التطوير والتحديث إنها تتعدّى هذا حين تخلق حالةً من التداخل الشكلي أو المعياري، بين الأجناس الأدبية، منها المستقرة منذ زمن، كالرواية والقصة القصيرة المعروفة.

تداخلٌ أنتجته محددات النصوص الحداثية، منذ سوزان برنار وكتابها عن قصيدة الحداثة، أهم هذه المحددات هو الاختزال والتكثيف والتوهج، هذا العنصر الخطير الذي تم تبنيه من قبل مجلة شعر منذ ستين عاماً، لم يكن بالحسبان توقع نتائجه بعد انفلاش وسائل الكتابة ووسائطها، إذ أفضى إلى إقصاء الأدبية من الشعر والقصة، وصولاً للرواية في بعض الأحيان، وكان الرهان لدى رواد حداثة الشعر تحديداً، على استقرار وسائل الكتابة والنشر كما هي في زمنهم.

الآن نشهد نصوصاً تُراوح بين القصة والشعر والخاطرة، لا يمكن تغليب شكل منها على آخر في تحديد جنس النص، وكمداخلة اعتراضية نقول، إن طبيعة النشر والتوصيل حقيقة هي التي أفضَت إلى هذا الحال، النشر في وسائط التواصل الاجتماعي، هذه لا رقيب ولا حسيب عليها، الفضاء واسع ومفتوح، لن نقول إن هذا شر مطلق، ففي الركام الكثيف المنتج، تم بعض التطوير في النوع وفق قاعدة الكم والكيف جدلياً، لكن المسألة لم تُحلّ، ولم تجد طريقةً لتلافي تداخل قد يقضي على النوع الإجناسي بكل صراحة.

نتساءل الآن..أين الخاطرة، وأين القصة القصيرة..والقصيرة جداً، ربما كان الجواب الحقيقي..إنها في كل هذا، حسناً، هل سيفضي ذلك إلى انعدام الاسم الأصلي؟، هذا جائز، لكن نتائجه بالفعل غير محسوبة، إلامَ ستُفضي، وهل سيجد أحد هذه الأنواع ٧استقلالَه وتأصيله في خضم التواصل والتخالط، المقصود أو غير المقصود بمزج كل منها بالآخر؟، الشعر يشكو من الخوطرة، وهذه تشكو من الشعرنة، وكلاهما يشكو من القصّ الحكائي.

إذا انتقلنا إلى الرواية، سنجد أن هذا الجنس الأدبي قد نجا من شرك الكتابة في الإنترنت، باعتبار النص الروائي الطويل لا يتوافق مع طبيعة التصفح السريع في الإنترنت، لكن الرواية في العالم، والتي نحت إلى تطعيم ذاتها بأنواع أدبية وفنية وفكرية أخرى، أسوةً ببقية الكتابات ربما، أو استجابةً لنوازع التحديث والتطوير التي يفرضها السوق الإعلامي إذا جاز هذا التعبير، صار القص أو السرد فيها، حمولةً فوق حمولات الشعر والفكر والفلسفة والسياسة والتاريخ، وحتى عناصر التحديث الفني المدرسي، من سيميائية أو تجريدية أو سريالية..منذ جان جينيه، وأندريه بروتون، وصولاً إلى ماركيز وكونديرا وشيشكين. وغيرهم، ويبدو أن الرواية تفقد الآن استقلالها كنص أدبي مستقر عرفناه في الأعمال الروائية الكلاسيكية العظيمة في الغرب والشرق، وتدور الآن بين القص والمسرحة والفكرنة والتسيس في إطار التركيب والتغريب، ولا يُجدي القول أننا بصدد إنتاج نص عام، فحتى هذا المصطلح، يحمل غموضَه في بنيته، تماماً كمصطلح الومضة مع مابينهما من فرق يبيح نسف قواعد مستقرة، وحقيقة ليست المشكلة في نسف القواعد، أدبياً أو غير ذلك بل في عدم التقيد بمنهج محدد هذه مسألة دقيقة ومهمة، إذ بفعل منهجية عقلنة النصوص، تم التفريق بين القصة القصيرة والرواية، وكانت حتى عهد هوغو وفلوبير، قصةً بالاسم، لكن تشايكوف وموباسان وجيمس جويس وغوغول، ممثلي مرحلة عقلنة النص الأدبي، دشنوا ولادة القصة القصيرة بالاسم، التي أعلنت اكتفاءها بزمن محدد، ومكان أكثر تحديداً، محررةً نفسَها من زمن الرواية الطويل وأمكنتها المختلفة والمتباعدة.

أخيراً يمكن القول أننا فعلاً بصدد فقدان الهوية في النصوص الأدبية، تماماً كفقدان الهوية في الانتماء التاريخي والجغرافي والإيديولوجي والوطني، بعد فقدان العالم توازنه بفعل سباق المصالح الرأسمالية، التي اخضعت الأدب والفكر لمقتضياتها، فاهتز مفهوم الحداثة ذاتها، الحداثة التي وصفها بودلير بأنها نقطة التقاطع بين الأبدي والعابر، فهل ينعدم تمييز حتى هذه النقطة؟

حنين

د. غانم سلمان

تاقت إلى أهلي ووادي قريتي ... في الريف فوق التلّ في عرزالنا ... فيها الثقاة الخالدات فعالهم
نفسي وللسلوى وللأعناب ... يحلو الحديث و نغمتي وربابي ... أهل الولاية مقصد الطلاب
نيسانها عطر نديٌ حافلٌ ... فجوار موقدتي وحول دخانها ... لا لا أكاد أغيب عن أجوائها
مغرورقٌ بالطيب والأطياب ... سحر الحياة ومتعة الشّرّاب ... حتى يزيد الشوق في إلهابي
وديانها غدرانها وتلالها ... فجليت مهد طفولتي وسعادتي ... حبّي وعاطفتي وصدق مشاعري
صورٌ وذكرى نشأتي وشبابي ... في أسرةٍ معروفة الأنساب ... في كلّ منعطفٍ بها وروابي

زاوية حادة..

يوم الأرض..

د.ج

لم يعرف التاريخ شعبًا أحب أرضه كما الشعب السوري منذ كان فجر التاريخ ولم يعرف أرضًا كما سورية كانت ولادة ومازالت ولادة قادرة على العطاء مهما كانت الظروف قاسية.

الأرض السورية من بابها إلى محرابها هي التي أعطت العالم الغذاء وعلمته الأبجدية.

ألم تكن أرض حوران إهراءات روما (مخازن قمحها) وإذا أمحلت جاعت الإمبراطورية..

في كل شبر من أرضنا لنا حكاية وقصة عطاء وفداء ..

أرضنا محط أطماع الغزاة عبر العصور لكنها الأرض التي تتحول إلى حراب ونصال بوجه من يريد بها سوءًا ..

قصة الأرض في سورية ملحمة وتاريخ وكل ساعة تسطر المزيد من العطاء والنضال.

العلم والمعرفة طريق التنوير

حسين صقر

تبقى السطور والحروف والنظريات العلمية، وكذلك القيم والمبادئ الأخلاقية مجرد حبر على ورق، أو مواعظ تتناقلها الألسن مادامت بعيدة عن الواقع ولا يتم تطبيقها بالشكل الأمثل، و كي تستفيد منها البشرية.

كثيرة هي الأحزاب والمؤسسات التي خطت أجمل النظريات وأبلغها ووضع منطلقاتها ومبادئها وأنظمتها أدهى المفكرين وأكثرهم خبرة وتجربة، ولكنها مع كل أسف بقيت لاقيمة لها لأنها لم تطبق على أرض الواقع، ولم تقرن أقوالها بأفعالها، فتحولت إلى سراب مجرد خال من الروح، ووهم وخيال ليس إلا، لأن السواد الأعظم من أتباعها وجد فجوة كبيرة بين ما يُقال، ويتم فعله، وبين الوعود التي تُقطع والبون الشاسع عن عدم تنفيذها.

فالمعرفة وعلومها جيدة لا محال، ولكن في حال اقترن القول بالفعل، والصدق بالكلام.

لهذا كله بات تحويل تلك الدوحة من المعارف والنظريات الوجدانية إلى خطط وبرامج وأفكار قابلة للتنفيذ على أرض الواقع، لا أن تتشابه مع سابقاتها، وبذلك تكون تلك الشعارات والنظريات واقعاً حقيقياً يفرض ذاته، وإلا باتت كرامة الإنسان في أي مجتمع لا على التعيين مجرد كلمة لا تسمن ولا تغني من جوع، عدا عن أن صورة تلك الكرامة وصاحبها يسقطان مع أول اختبار مواجهة تفرضها الظروف.

البعض يسعى جاهداً لتعزيز التعددية الثقافية، وهذا لاضير فيه، اللهم إذا اقترنت مبادئ وقيم تلك الثقافة بالفعل وارتبطت بالوفاء بالعهود، ولكن عكس ذلك سوف تنظم إلى سابقاتها من تلك النظريات.

بالمقابل يؤكد آخرون أنه من الأفضل لتحويل المعرفة إلى

حقيقة وإبعادها عن الوهم، هو الربط بين العقل والوجدان و تضافر جهود علماء التربية والقانون والدين بمختلف مؤسساتهم لتوحيد الرؤى الفكرية والحث على عدم إبقاء المعارف حبيسة الكتب والمكتبات والرفوف، ومجرد خطب وشعارات تلقى في المناسبات الاجتماعية المفرحة والمحزنة، كأن نستمع إلى صلاة الجنازة ويأخذنا الخشوع والورع إلى ما لانهاية، وبعد دفن الميت نعود إلى غينا واستكبارنا وعنجهيتنا وتفاخرنا واعتدادنا بأنفسنا والجنوح نحو أكل الحقوق والاعتداء على الآخرين وعدم الاعتراف بالأخطاء.

فالنظرية تقول لا تسرق لا تكذب لاترتكب الفواحش و المحرمات إضافة إلى مجموعة من اللاءات من أجل عيش مشترك وتقبل الآخر وتنمية إنسانية قوية، ولكن الواقع يجب أن يكون هكذا بالفعل، ولكن مع كل أسف نرى أن كلام الليل يمحوه النهار.

يقع عاتق تحويل النظريات إلى حقائق معاشة، المدرسة والأسرة ودور العبادة والمراكز الثقافية والبرامج والندوات الشبابية لإنجاح تلك العملية، وعدم إبقاء مايقال حبيس الألسن والخزائن، وكذلك تنشئة جيل يقترن قوله بفعله.

نعم إن البوابة الأولى لتلقي العلوم الدنيوية هي كلمة إقرأ، لكن ما فائدة القراءة والكتابة، إذا لم نطبق أقل ما يمكن اليسير منها، ومع أن تلك الكلمة هي الوسيلة الوحيدة لانتقال المعرفة، و القراءة تفتح آفاقاً أوسع وأشمل للإنسان، لكن تطبيق ما تتم قراءته هو الهدف الأسمى والغاية الأنبل،، وهو الأمر الّذي سيؤدّي حتماً إلى تطوير الحياة سواءً على الصعيد الشخصيّ أم على الصعيد الجماعي، وهنا نعود أيضاً لدور المدارس والمؤسسات الثقافية التي يفترض أن تلعب دور المراقب على تطبيق تلك العلوم والمعارف وتحويلها إلى وقائع.

فالمزيد من البحث والقراءة والترجمة وإقامة المسابقات لتعزيز القراءة، لا نفع له إذا لم يقترن بالتطبيق، لأنه بالعلم والمعرفة تبنى الأمم، وبتطبيقها تزدهر.

مسافرٌ بلا سفر

نادين معين أحمد

على قارعةِ طريقٍ موحلٍ بالطّين الشتوي وقفَ ينتظِرُ قطارَه البعيد

انتظرَ كثيراً.. لم تتوقفِ العاصفةُ عن لفحِ وجهِه الكهلِ بغربةٍ لم تَصر بعد

انتظرَ أيضاً وأملٌ يغفو على مدّ ناظرَيه.

تساءل: أواقفٌ أنا منتظِراً إكمالَ العبورِ، أم عساني لا أدري قَواعدَ الانتظار؟

رافقَ ذاكرتَه شريطُ طفولتِه المزدحمِ بالصور، استطاعَ أن يختارَ صورةً تتناسبُ مع ابتسامتِه الصّفراءِ تلك؛ حين كان في الصفوفِ الإبتدائية الأولى، إذ كان عليه أنْ ينتظرَ قدومَ المعلّمِ الجديد مع رفاقِه في أوّلِ القريةِ فرحين بقدومه

انتظروا حينها كثيراً ولم يأتِ المعلّمُ.

لم يبرحوا أماكنَهم إلى أن جاءَهم أحدُ الأخوةِ الكبارِ يعلمُهم أنّ انتظارَهم بلا فائدة لأنّ المعلّمَ لن يأتي.

خابتْ قلوبُهم وامتلأت عيونهم بالدموع وهم يتساءلون لماذا لن يأتي هذا المعلّمُ؟

ليعلموا بعد ذلك أنّ قريتَهم بعيدةٌ جداً ولاجلادةَ للمعلّمِ أن يبتعدَ عن أسرتِه.

وضع يدَهُ في جيبه بحسرةٍ ثم أخرجَ عملةً ورقيةً من فئةِ الخمسة آلاف تأمّلَها ثمّ أعادَها إلى مكانِها.

أقنعتْه غيمةٌ حانيةٌ على أهميّةِ البقاءِ، بينما ظلّ الأملُ غافياً ينتظِرُ مَن يُرشِدُه إلى الصحوِ المنتظَر.

مرّ القطارُ بين موجةٍ من الضبابِ تُرافقُها زخّاتُ مطرٍ قاسٍ كقسوةِ الحيرة التي في داخلِه.

لحْظٌ من الصمتِ يذاكرُ العناوينَ القادمةَ في مخيّلتِه بين ما كان وما سيكون.

مُجاهداً في إكمالِ نواقصِها المتفرّسةِ بالقادمِ الذي لا يدريه.

تُرى أيّةُ عُكازةٍ ستمنعُهُ عن الميَلانِ المرّ.

أثارَ ارتباكُه أحدَ الشبانِ المسافرين هناك في المحطّة فتقدّمَ منه مستفسراً

-مابكَ يا عم، هل تبحثُ عن شيءٍ؟

نظرَ إلى الشابّ نظرةً تملأُها الفوضى الفكرية ثم قال: ظننتُ أنّي أستطيعُ تغييرَ مكاني..لكنّي لا أستطيع.

تأمّلَ الشابُّ جملتَه مبتسماً ثمّ أردفَ: لماذا ستغيّرُ المكان؟

أجاب: أنا مثلُكَ..ظروفُنا قد تتشابه

ألستَ مسافراً؟

قاطعه الشابُّ: أنا مسافرٌ للعمل..مسافرٌ لأصنعَ مكاني هنا غداً.. أمّا أنتَ وفي عمرك يا عمّي بماذا سيخدمُكَ السفرُ؟!

أجاب: قد يجدُ لي سنداً

أحياناً أكثرُ الناس التصاقاً بك

(عزوتُك..سندُك)

هم أكثرُ الناس طغياناً بك...

ربّتَ الشابُّ على كتفه ثم أردفَ:

كن مقتنعا بأنّك لستَ الوحيدَ في هذه المساحةِ الذي يشبهُ نفسَه

غيرُك الكثيرُ ..

ويشبهونك تماماً

تأمّلَ الكهلُ جملةَ الشابّ بصمت..

دامَ صمتُه كثيراً، جاء القطارُ الآخرُ وأخذَ ركّابَه على عجلٍ بينما كان لايزال متأملاً..

ثم عادَ أدراجَه إلى حيثُ انطلقَ وخُطاه تتركُ أثراً مع كلّ رجوع.

أبجدية الشعر

رجاء شعبان

يأتي الشعر مع الربيع، فالربيع شعر والشعر ربيع! لو تخيّلنا الحياة من دون شعر فهي تغدو باهتة كفصولٍ ينقصها ربيع، وشاء الشعر أن يكون من الاستشعار والشعور بالشيء وانبثاق المشاعر وتحرّكها حيث إحساس الحياة.

الشعر رقرقة الوجود وجدول الكلمة الجميلة ونسيم العشاق وبحر المعاني اللذيذة..

الشعر مرآة القلوب وسيوف العقول تستل أغمدتها وتشرعها في وجه الجهول والخمول... الشعر نبض ويا له من نبض شعاع.

قد نعتقد أنّ الحياة تسير من دون شعر وهذا محال، الشعر غناء الوجود ومحالٌ هو الوجود من دون غناء، فالأشجار تغنّي، والنسيم يعزف.. والماء يرتّل والبحر يضجّ بأغنياته المخفية بعمقه والمتناثرة في الموج حيث الشاطئ والمطر يدرغل والطير ينشد والطفل يناغي والأم تلحّن... وكل كل شيء يغدو في قصيده يدوزن... حتى الآلة في حركتها وتناغمها مع صوت يصدر منها ستتحول لسمفونية من نوع ما... وصافرة قطار توحي بالمجيء أو المغادرة إعلان نغم قديم لرحلة جديدة أو عودة ميمونة... رنين هاتف ينقذ من ملل أو سكوت... وهكذا حتى دقّات قلوبنا تدق بنظام ملكوتي متقَن الصنع.

كلّ مخلوق في الحياة من شعر في شعر متضمّن يعيش، أدرك ذلك أم أغفل..

وأنا والشعر توءمان خُلقنا سويّة وأحياناً أشعره هو ذاتي الخفية... وربما أنا ضمنه ضمّدني بخيوط السحر وعبق المعاني من تجريح الخارج من الواقع، وأخذني على جناحَيه رحلات إسراءٍ نفسية ومعراج معنوية وقت الأحزان وساعة الأفراح... بل كثيراً ما دعاني للاستماع والاستمتاع بأحاديث الغير من الشعر.... فكان الشعراء أصدقائي المقربون وعباراتهم نغماتي في الدروب ألحنها ومع خطواتي أنشدها أغاني من عشق الوجود بفنّ وسحر ولذّة.

ربّما الشعر يشبهُني أو أنا أشبهه، لا أتخيّل يومي ودمي من دونه... فلوني شعري شاعري أشقر أخذ من الصباح شقرته... وقلبي أحمر أزهر كشفق الغروب من النثر هيبته.

أنا والشعر حكايات الأشجار وأسماع الطرقات المنصتة لأحاديث التسلية والأحداث.

يا شعر وأنت العيد عيدي...وعيد ميلادي معك... نشترك بذات الميلاد من الشهر... فشاء ربي أن يقصّ من الشعر قطعة ويخلقني بها ومنها... وأظل أحنّ لكلّي فيه.

عيد ميلاد سعيد ويوم مبارك يوم يوم مولدك... يا سعادة الروح البشرية.. يا دلع الأيام الإنسانية وأنس الحال والليالي والأحوال.

وأختم من ديواني: «اخضرار الروح» قصيدة بعنوان: «حيرة» تقول:

كأنّكَ من الماضي البعيد
كأنّي الذكرى
كأنّك غيمة عابرة
وكأنّي سماءٌ مسافرة
في رحيل الغيمات
كأنّك يا حبيبي حزنٌ عميق
كأنّي حسرةٌ مُبحِرَة
كأنّك الموتُ الآتي
وكأنّي الروح الفكرة
فمتى يقوم هذا الموت
متى تسترخي الحياة
متى ينطفئ اللهيب
متى تشتعل الجمرة
ما بي من لحنٍ جميل
إلا ذاك الغفو الراحلُ في العوم
خلف الشوق وخلفَ الموت
وخلف الحياة وخلف النوم
إلى لا شيء من قبل أن تُخلق الذكرى
ومن قبل أن تكون الفكرة
وهذا في نفسي أكونُ ألا أكونُ أشيئاً
و ألا أطلب قدرة.
.....
نعم أيها الشعر كأنك كل شيء
كل عام وأنت بي الحلم، ونطق أبجدية الإنسان.

شاعر وقصيدة

معروف الرّصافي

معروف عبد الغني البغدادي الرصافي، شاعر العراق في عصره.

من أعضاء المجمع العلمي العربي (في دمشق) أصله من عشيرة الجبارة في كركوك، ويقال: إنها ولد ببغداد ونشأ بها في (الرصافة) وتلقى دروسه الإبتدائية في المدرسة الرشدية العسكرية، ولم يحرز شهادتها، وتتلمذ لمحمود شكري الآلوسي في العلوم العربية وغيرها، زهاء عشر سنوات، واشتغل بالتعليم، ونظم أروع قصائده، في الاجتماع والثورة على الظلم، وانتقل بعد الحرب العامة الأولى (سنة ١٩١٨) إلى دمشق ثم عين أستاذاً للأدب العربي في دار المعلمين بالقدس، فأقام مدة وعاد إلى بغداد فعين نائباً لرئيس لجنة (الترجمة والتعريب) ثم أصدر جريدة (الأمل) يومية (سنة ١٩٢٣) فعاشت أقل من ثلاثة أشهر.

وعين مفتشاً في المعارف، فمدرساً للعربية وآدابها في دار المعلمين، فرئيساً للجنة الاصطلاحات العلمية. واستقال من الأعمال الحكومية سنة ١٩٢٨ فانتخب (عضواً) في مجلس النواب، خمس مرات، مدة ثمانية أعوام. وزار مصر سنة ١٩٣٦ وقامت ثورة رشيد عالي الكيلاني ببغداد، في أوائل الحرب العامة الثانية، فنظم (أناشيدها) وكان من خطبائها. وفشلت، فعاش بعدها في شبه انزواء عن الناس إلى أن توفي ببيته، في الأعظمية، ببغداد.

وكان جزل الألفاظ في أكثر شعره، عالي الأسلوب، حتى في مجونه، هجاءاً مراً، وصافاً مجيداً، ملأ الأسماع دوياً في بدء شهرته، وتبارى والزهاوي زمناً، وتهاجياً، ثم كان لكل منهما ميدانه: الرصافي برصفه، والزهاوي بفلسفته. نشأ وعاش ومات فقيراً.

له كتب، منها (ديوان الرصافي- ط) جزآن اشتملت الطبعة الثانية منه على أكثر شعره، إلا أهاجي ومجونيات ما زالت مخطوطة متفرقة فيما أحسب، و (دفع الهجنة - ط) رسالة في الألفاظ العربية المستعملة في اللغة التركية وبالعكس، و(دفع المراق في لغة العامة من أهل العراق) نشر متسلسلاً في مجلة العرب، و(رسائل التعليقات- ط) في نقد كتاب النثر الفني وكتاب التصوف الإسلامي، كلاهما للدكتور زكي مبارك، و(نفح الطيب في الخطابة والخطيب- ط) و (محاضرات الأدب العربي - ط) جزآن، و (ديوان الأناشيد المدرسية- ط)

الأرملة

لقيتها ليتني ما كنت ألقاها
تمشي وقد أثقل الأملاق ممشاها
أثوابها رثّةٌ والرجل حافية
والدمع تذرفه في الخدّ عيناها
بكت من الفقر فاحمرّت مدامعها
واصفرّ كالورس من جوع محيّاها
مات الذي كان يحميها ويسعدها
فالدهر من بعده بالفقر أشقاها
الموت أفجعها والفقر أوجعها
والهمّ أنحلها والغمّ أضناها
فمنظر الحزن مشهود بمنظرها
والبؤس مرآه مقرون بمرآها
كرّ الجديدين قد ابلى عباءتها
فانشقّ أسفلها وانشق أعلاها
ومزّق الدهر ويل الدهر مئزرها
حتى بدا من شقوق الثوب جنباها
تمشي بأطمارها والبرد يلسعها
كأنه عقرب شالت زباناها
حتى غدا جسمها بالبرد مرتجفا
كالغصن في الريح واصطكّت ثناياها
تمشي وتحمل باليسرى وليدتها
حملاً على الصدر مدعوماً بيمناها
قد قمّطتها بأهدام ممزّقة
في العين منثرها سمبحٌ ومطواها
ما أنس لا أنس أنيّ كنت أسمعها
تشكو إلى ربّها أوصاب دنياها
تقول يا ربّ لا تترك بلا لبن
هذي الرضيعة وارحمني وإياها
ما تصنع الأم في تربيب طفلتها
أن مسّها الضرّ حتى جفّ ثدياها
يا ربّ ما حيلتي فيها وقد ذبلت
كزهرة الروض فقد الغيث أظماها
ما بالها وهي طول الليل باكية
والأم ساهرة تبكي لمبكاها
يكاد ينقدّ قلبي حين أنظرها
تبكي وتفتح لي من جوعها فاها
ويلمّها طفلة باتت مروّعةً
وبتّ من حولها في الليل ارعاها
تبكي لتشكوَ من داءٍ ألمّ بها
ولست أفهم منها كنه شكواها
قد فاتها النطق كالعجماء أرحمها
ولست أعلم أيّ السقم آذاها
ويح ابنتي أن ريب الدهر روّعها
بالفقر واليتم آها منهما آها
كانت مصيبتها بالفقر واحدة
وموت والدها باليتم ثنّاها
هذا الذي في طريقي كنت أسمعه
منها فأثرّ في نفسي وأشجاها
حتى دنَوت إليها وهي ماشية
وأدمعي أوسعت في الخد مجراها
وقلت يا أخت مهلاً أنني رجل
أشارك الناس طرّاً في بلا ياها
سمعت يا أخت شكوىً تهمسين بها
في قالة أوجعت قلبي بفحواها
هل تسمح الأخت لي أني أشاطرها
ما في يدي الآن استرضي به اللها
ثم اجتذبت لها من جيب ملحفتي
دراهماً كنت استبقي بقاياها
وقلت يا أخت أرجو منك تكرمتي
بأخذها دون ما منّ تغشاها
فأرسلت نظرةً رعشاءَ راجفةً
ترمي السهام وقلبي من رماياها
وأخرجت زفرات من جوانحها
كالنار تصعد من أعماق أحشاها
وأجهشت ثم قالت وهي باكية
واهاً لمثلك من ذي رقة واها
لو عمّ في الناس حسَنٌ مثل حسّك لي
ماتاه في فلوات الفقر من تاها
أو كان في الناس انصاف ومرحمة
لم تشك أرملة ضنكاً بدنياها
هذي حكاية حال جئت أذكرها
وليس يخفي على الأحرار مغزاها
أولى الأنام بعطف الناس أرملةٌ
وأشرف الناس من في المال واساها

المثقف الّذي نحتاج إليه

أيمن أحمد شعبان

المثقف الذي نحتاج إليه، هو المثقف الذي بينه وبين والمطر أكثر من وشيجة اتصال تجمعُ بينهما، لكنهما يتفقان على مساحة واحدة هي مساحة الإحياء، فالمطر يُحيي الأرضَ والمثقف يُحيي العقول.

وقبل أن أبدأ الحديث عن هذا المثقف، لا بد لنا من أن نتحدث، ولو قليلاً، عن مفهوم الثقافة الواسع الذي أشْتُقَ منه مصطلح المثقف.. فما هي الثقافة؟.

الثقافة كلمة واسعة المفهوم والدلالة والنطاق، ظهرت كمصطلح في نهاية القرن التاسع عشر في أوروبا، ثم في روسيا، ثم انتشرت في مختلف بلدان العالم.. وهي تشمل الإلمام والدراية بصنوف العلم، والمعرفة، والتراث، والحضارة، والعقائد، والعادات والتقاليد، والأفكار والفنون والآداب والحرفُ والمهن.

وهذه خلاصة كل التعريفات التي تناولت مصطلح الثقافة، وهي كثيرةٌ جداً، وتشمل كلّ مجالات الحياة، وعلى أساسها يمكن أن نميّز بين الأمم والشعوب المختلفة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأدبياً وفنياً.

١- أما المثقف؟

فقد أجمع العلماء على أنه (مفهوم يُستخدم للإشارة إلى شخص مصقول صقلاً عقلياً عالياً، وله درايةٌ وإلمامٌ بالآداب والعلوم والفلسفة والفنون والمهن)، ومن هذا التعريف وغيره من التعريفات الكثيرة الأخرى للمثقف، يمكننا الاستنتاج بأن «المثقف الحقيقي» شخصٌ:

.متسلحٌ بالعلم والمعرفة، ويمثل وعياً بأحوال مجتمعه وحاجاته وتطلعاته، وينحاز إليه.

.ذو نزعة عقلانية نقدية بناءة، ويميل للاستقلالية الفكرية الموضوعية والواقعية.

.يتحلّى بالأخلاق والسلوك اللذين يسهّلان عليه القدرة على الفعالية والتأثير الإيجابي.

.يعتز بهويته الوطنية والقيَمية ويفاخر بها ويدافع عنها ولا يتنازل عنها تحت أية ظروف.

ولهذا كان «المثقفون الحقيقيون» لا «المزيفون» عبر التاريخ يدفعون الأثمان الباهظة لأفكارهم ورؤاهُم، لأنهم يشكلون خطورة على كل الأطراف الطفيلية الفارغة والتافهة التي تعيش في حالات غياب الوعي في المجتمعات.. فـ«المثقف الحقيقي» يمتلك فهم الماضي، والوعي بالحياة، والخوف من المستقبل، وقوة الكلمة، وأصالة الرأي، والدفع بالحجة كي ينسف بها أي خطاب لا يراه يتسق وقيم الحياة الطبيعية والإنسانية... ولهذا نرى أن التاريخ الإنساني يحفل بقَصَص الصراع بين المثقف الحقيقي وأعداء الثقافة والحياة.. ففي العصر الإسلامي العربي حدّث ولا حرج.. إذ إن الكثيرين من علماء الأمة ومفكريها اتّهموا، في عصرهم، بالزندقة والهرطقة، أو أنهم انحرفوا عن الإسلام وتم تكفيرهم جميعاً.. وإلا فلماذا قتل ابن المقفع قتلةً شنيعة؟، ولماذا سجن أبو حنيفة؟، لماذا هُرّب الشافعي من بغداد إلى مصر؟، ولماذا اُضطُهدت الأئمة؟، ولماذا جُلد الحلاج وصُلبَ؟، ولماذا قُتل المتنبي؟، ولماذا أبعد ابن خلدون؟، ولماذا قُتل الطبري؟، وأُعدم السُهروردي وحُبس المعرّي وهو أعمى؟، ولماذا جُلد الكِنْدي؟، ولماذا حُبس ابن رُشد وحُرقَت كتبه في الساحات تحت صيحات الله أكبر؟، ولماذا كُفّر ابن سينا والرازي والفارابي ؟، ولماذا حكم على عبد الرحمن الكواكبي بالإعدام وقام الآباء المسيحيون بتهريبه إلى مصر؟، ولماذا.. ولماذا؟!. ولماذا في عصرنا الحالي خرجت فتاوى الأزهر، لتعتبر أن عميد الأدب العربي طه حسين، ونجيب محفوظ، وفرج فوده، ونصر أبو زيد، وإسلام البحيري، كافرين ومرتدين؟. ولماذا في عام ٢٠١٩ أفتى الأزهر نفسُه بأن داعش من أهل القبلة وينطقون بالشهادتين ولا يجوز تكفيرهم؟؟!.

ولعل المتنبي صوّر حال العلماء والمثقفين في أمتنا العظيمة، حين قال:

(أنا في أمة، تداركها الله.....غريبٌ كصالح في ثمود).

إلا أن الأمر لا يقتصر على العرب والمسلمين وحدهم .. فتواريخ المجتمعات والأمم الأخرى قد شهدت في تعاملها مع مثقفيها المتنورين أفعالاً مشابهة.. وفي هذا أذكر أنني قرأت أن المدعي العام في دولة موسوليني، وأثناء محاكمة الفيلسوف الماركسي الإيطالي أنطونيو غرامشي، قال:(يجب أن نوقف هذا الدماغ عن العمل لمدة عشرين عاماً!)، كما أن وزير الثقافة الألماني النازي جوبلز اشتهرت له عبارة قال فيها:(عندما أسمع كلمة مثقف أتحسس مسدسي!).. وكيف أن عالم الفلك الإيطالي جاليلو حُبسَ وأُجبرَ على التراجع عن فكرته بدوران الأرض!، ولماذا مُنع الفيلسوف البولندي الأصل كوبرنيكوس من طبع آرائه ونظرياته العلمية ونَشرها، وكيف مات الفيلسوف اليوناني سقراط مسموماً!.. ومن يقرأ كتاب(النزاع القائم بين العلم والدين أو اللاهوت) لمؤلفه «أندرو وايت» رئيس جامعة كورنيل البريطانية يجد أسماء عدد كبير من العلماء والمفكرين الذين طاردهم المحافظون والمتشددون في أوروبا.

وهذه الأمثلة من التاريخ وغيرها الكثير، لا تثير الاستغراب، لأننا نُدرك حجم خطورة دور العلماء والمثقفين الحقيقيين، الذين يمتلكون ناصية الحق والحقيقة، ويستطيعون إيصالها للناس، لتفعل فعلها في وجودهم ومستقبلهم وتقرير مصيرهم.

وعَوْدٌ إلى بدء.. فليس بالضرورة أن يكون المثقف كاتبًا أو شاعرًا أو فنانًا أو معلمًا أو جامعيًا، إلا إذا كان يعرف كيف يخدم بشهاداته أو تحصيله العلمي أو فكره أو موهبته الناسَ من حوله، أي كيف يوظف علمه ومعارفه ومواهبه ومهاراته في إنتاج أفكار جديدة ونافعة، يتفاعل فيها مع المجتمع الذي يعيش فيه، ويساهم في نهضته الفكرية والثقافية، سواء في القضايا الاجتماعية التي يعيشها، أو في القضايا الكبيرة التي تهم الوطن. فعَالمُ تاريخ اللغات الفرنسي «أوغست كارتول» يعتبر المثقف (شخصاً يضع ذكاءه وعلمه في خدمة كل الوظائف والممكنات التي تخدم مَنْ حَولَه!)؛ وكذلك برنارد شو الذي قال (الإنسان المثقف هو الذي يعطي الحياة أكثر مما يأخذ منها)، أو كما قال سارتر (المثقف شخص يقوم بأفعال بناءة لم يطالبه بها أحد).. وهنا تبدو صورة المثقف الحقيقي الذي يقوم بالأعمال الجليلة دون انتظار مكافأة أو حتى كلمة شكر!.

قبيل الحرب الارهابية العدوانية على بلدنا، كانت الحياة الثقافية في سورية حافلة بالبرامج والندوات والمهرجانات والملتقيات وغيرها الكثير من النشاطات والفعاليات الثقافية، وكان يدعمها حضور وشغف وتفاعل وتواجد ومشاركة من كلّ الأطياف والشرائح المثقفة المتعلمة وغير المتعلمة في المجتمع. وكان هذا المشهد يعكسُ الصورة الحقيقية للتجانس بين الثقافة والمثقف. وقديماً قيل إنّ لكل زمان رجال، وهذه المقولة صحيحة، لهذا ما كان ينبغي أن يتراجع زخَمُ الحراك الثقافي وينشغلَ عنه جمهورُه منذ ذلك الحين.. ففي سورية الكثير من القامات الثقافية التي كانت ولا تزال قادرة على أن تحفظ صحة الحياة الثقافية بمشاركاتها وإبداعاتها وإسهاماتها وعطاءاتها وخصوصاً في الحروب والأزمات.

واليوم.. ومع أننا نشهد حركة متجددة لتلك الأنشطة والفعاليات الثقافية، فإننا نشهد تراجعَ وتيرة فاعليتها والاهتمام الرسمي أو الشعبي بها، وخاصة فئة الشباب، وحضورها ومتابعوها قلّة، وإذا استمر هذا التراجع، فالخاسر الأكبر في ذلك هو أجيالنا القادمة التي من المفترض ألّا تتوجه للعالم الافتراضي ووسائل التواصل الاجتماعي بقدْر ما تتوجه إلى الواقع بكل تجلياته.

قد يُرجع بعضنا السبب في هذا التراجع إلى التقصير في دعم واهتمام ورعاية بعض الجهات الرسمية للمثقفين وقضاياهم، وعدم مواكبة مشاركاتهم في النشاطات والفعاليات الثقافية، هذا صحيح نسبياً.. ولكن ماهي أسباب انصراف الكثيرين من الناس العاديين عن الاهتمام بالثقافة والمثقفين وبالأنشطة والفعاليات الثقافية؟!..

لعل أُولى هذه الأسباب تكمن في جهل «مدّعي الثقافة والأدب» لحقيقة أن الأدب لا يسمى أدباً إلا بتأدُّب أصحابه، وسعة اطلاعهم، وجمالِ أخلاقهم، وأفكارهم، وإنتاجهم. وباعتراف كبار الأدباء والنقاد السوريين، إن الحالة الثقافية عموماً قد تراجعت بفعل أولئك «المتثاقفين» الذين أنتجوا أعمالاً تافهة، بمضمون سخيف وأسلوب ركيك، فكتبوا وطبعوا ونشروا شعراً أو نثراً أو مقالة أو رواية أو قصة أو كتاباً، ويدّعون أنها من صنوف الأدب الذي ينسبون أنفسهم ظلماً وجوراً إليه. والمصيبة أن معظم هؤلاء «المتثاقفين» أصبحوا أدباءَ بين يوم وليلة، واتسعت لهم آفاق الانحدار والإسفاف ليمعنوا في اتساع رقعة الرداءة في وسطنا الثقافي.. إن هذا ببساطة يعدّ تجنياً على الأدب وإسفافاً فيه، في الوقت الذي نجد فيه أدباءَ مبدعين كُثر مغمورين لم يُروّج لهم، ولم نسمع عنهم، ولم نقرأ لهم، وقد خطت أقلامُهم إبداعات فيها الكثير من المتعة والفائدة، ولكنهم لا يكتبون الغثَّ التافه، ولا هذا المستوى من الهذيان!.

سبب آخر لهذا التراجع أيضاً، هو اهتمام الناس الكبير بشبكات التواصل الاجتماعي وخصوصاً منها تلك التي تقتل الوقت، وتسخّف العقل، وتحتفي بالتفاهة، وتزدري الفكر والقيم الإنسانية، حيث يمكن لمتنبّئة دجّالة أن تصل إلى ملايين المتابعين، أو لممثلٍ متعجرفٍ مغرور أن ينتصر على أكبر الفلاسفة والمفكرين المشهورين، أو لأي شخص، حتى ولو لم يكن له حظ من التعليم، أن يستهجن ويستخفّ مقالاً علمياً لا يفهم شيئاً من مضمونه.. وتكاد تلك الوسائل والشبكات أن تلغي معيار صدقية الأفكار والمضامين في ما تحمله من رسائل ومعارف، لتجعله فقط في عدد المعجبين والمتفاعلين والمتابعين، مما جعل رواد هذه الشبكات يبحثون عن طرق أخرى ترفع نسبة المتابعة بأية وسيلة مهما أغرقت في الخلاعة والمياعة والانحطاط الأخلاقي. كما أن بعضهم أوغلوا في الرعونة، بقصد أو بدون قصد، فنشروا ما يثير النعرات والفوضى والكراهية، ومهّدوا للمفاهيم الليبرالية، والتطبيع، والخنوع، وتخريب العقول.. فأصبحت عوالم السوشال ميديا بشكل أو بآخر تسهم في صنع الرأي العام، وتخلق بدورها تباعداً وقطيعة بين المجتمع من جهة والثقافة والمثقفين من جهة أخرى.. وكل ذلك للأسف، بسبب غياب الوعي الفكري والأمن الثقافي المجتمعي، الذي من المفترض أن يصنعه المثقفون الوطنيون الحقيقيون ويحصّنوه في عقول الناس...

وإذا أضفنا إلى كل ما ذكرته من أسباب، حقيقةَ تأثر الناس بالعامل الاقتصادي الضاغط، وضعف الدخل، وانشغالهم بتأمين لقمة عيشهم، وغلاء الكتب، واختفاء الصحف والمجلات الورقية، وانصراف الناس عن القراءة، وغيرها.. سنجد أن هذه الأسباب بمجموعها، قللت من اهتمام المجتمع بالثقافة والمثقف إلى حد كبير، ليتحول اهتمام الناس إلى مناح أخرى بديلة.. وهذا ما نراه حينما يُقام لأحد المطربين حفل غنائي في مكان ما، كيف يتهافت الناس للحضور وكذلك وسائل الإعلام كيف تتسارع لنقل الحدث، وهذا المشهد وهذا الإقبال الكبير يتكرر حدوثه عند قيام المطاعم والمقاهي وصالات العرض بنقل مباريات كرة القدم المحلية أو العالمية.. أما حينما يُلقي عالمٌ أو مثقفٌ محاضرةً، أو تقامُ ندوةٌ تجمع عدة مثقفين، فيحضر عدد قليل من الأشخاص وتجد الإعلام، على الأغلب، غائباً عن نقل الحدث، أو الإشارة إليه بشكل لائق!

إن إعادة النظر، اليوم، بأهمية المثقفين الحقيقيين ودعمهم وتفعيل دورهم التنويري، هي حالة جماعية، ملحة، تقع على الجميع «الدولة والمجتمع والمثقفون أنفسُهم»، فكما أن للدولة دورٌ في إعادة الربط بين المثقف الحقيقي والجمهور، من خلال دعمه مادياً ومعنوياً سواء بالتمكين، أو الظهور، أو الدعوة لقراءته والتعريف بفكره ومؤلفاته، أو طباعة ونشر إنتاجه الفكري، أو تحفيزه وتكريمه. فإن للمجتمع دورًا مهمًا أيضاً في تحديد مكانة كل من يدّعي أنه مثقف، ومساعدة المثقف الحقيقي الذي يمثله شكلاً ومضموناً، ويريده ويحتاج إليه للقيام بتثقيفه وتنويره، لأن نجاح المثقف بدوره الحضاري يعني في نفس الوقت نجاح المجتمع في إعادة بناء ذاته والعكس صحيح.

في الإجابة السريعة على السؤال: من هو المثقف الذي نريده ونحتاج إليه؟، الذي أشرت إليه في عنوان هذه المقالة، أقول: هو شخص متواضع محبوب، يتمتع بمؤهلات وخبرات ومزايا وصفات تجعله قادرًا على القيام بدوره التثقيفي التنويري والمساهمة في إحداث نهضة متجددة يعود من خلالها للحياة الثقافية وهْجُها وتألقها.

× فعلى الصعيد الشخصي يجب أن يكون:

١. خلوقاً، وصادقاً، ومتواضعاً، ولطيفاً، يحترم نفسَه وعلمَه ويحترم الناس من حوله.. وليس أنانياً، ولا نَرجسياً، ولا فوقياً، ولا تُبهره الأضواء.

٢. أن يكون ضميرُه حيّاً، وإحساسُه عميقاً بمسؤوليته الأخلاقية والفكرية، ولا يقبل بأن يلعب دورَ تاجر الأفكار المغلّفة بالنفاق والانتهازية والإساءة للآخرين.

٣. أن يكون صادقَ الشعور بالانتماء للوطن، والاعتزاز بهويته الوطنية قولاً وعملاً.

٤. أن يكون إيجابياً في تفكيره ومواقفه، متفهماً ومحترماً لرأيه وللرأي الآخر، وساعياً إلى نشر ثقافة التفاؤل والعمل والإنتاج، بدلاً من اليأس والتباكي على ما كان.

٥. أن يمتلك حصانة فكرية مستقلة قوية، غيرَ قابلةٍ للتأثر بأية ثقافات دخيلة.

× أما على الصعيد العملي، فيجب:

١- أن يكون واعٍ في تعامله مع سيرورة الزمن؛ ويعيش حاضرَه ولا يغرق فيه.

٢- أن يتصدى للتحريض الطائفي والمذهبي والعشائري والمناطقي والعائلي والشللي.

٣- أن يحارب الفساد والمفسدين، والخونة والمارقين، ويسعى للإصلاح والتغيير البنّاء.

٤- أن يعمل على نبذ كل ما من شأنه أن يشكل خطراً على سلامة شعبه وجغرافية وطنه.

٥- أن يتطرق دائماً عبر وسائل الإعلام المقروءة أو المسموعة أو المرئية للقضايا المهمة التي تلامس أوجاع الوطن، وتُحدث تغييراً فعلياً في عقلية المتلقّي الحائر أو القلق، ويحذّرَ من السير وراء القضايا التافهة التي تهدف إلى تغييب العقل وراء اهتماماتٍ تصيبه بالخدَر والتبلد.

٦- أن يكونَ منهمكاً بتفاصيل وآليات تطوير الحياة الثقافية، ويتواجد في الملتقيات، والمنتديات، والمراكز والصالات الثقافية، يشارك، ويحاور، ويحاضر، وينتقد.

وهنا.. قد يسأل سائل: وأين سنجد هذا المثقف الذي يتمتع بكل هذه المواصفات؟.. وأنا أؤكد أن من يحملون أغلب هذه الصفات، موجودون وهم كثر، ولا تخلو ميادين ثقافتنا المنتشرة في أرجاء بلدنا منهم.

لقد خُدعنا على امتداد عقود من السنين بـ « مثقفين مزيفين» روجّوا لأنفسهم مجموعة شعارات زائفة، كانوا ديماغوجيين لا يريدون الوقوف على حقائق الأشياء مع نزق كتاباتهم الإنشائية، والأخطر من هذا وذاك هي تقلباتهم ذات اليمين وذات الشمال، فتجده يسارياً، وفجأة تراه يمنياً متطرّفاً.. وتجده تقدمياً، وفجأة تجده رجعياً متشدداً.. وتجده يتحدث بالقيم الوطنية والتحررية، وفجأة تجده يسّوق لمشروعات الاستسلام والتطبيع والليبرالية.

وهذا ما كَشَفتهُ السنواتُ الأولى للحرب الإرهابية الكونية الظالمة التي فرضت علينا عام ٢٠١١م.. أما رأيتم ذاك التباين الذي ظهر، تباعاً، في مواقف المثقفين مع تطور صور العدوان وشراستها؟، فهناك من «المتثاقفين» من صدمهم هول المشهد، وأوهَنَهم «تثاقُفُهم وضَعفُهم»، فاكتفوا بدور المتفرّج الصامت إزاء ما كان يحدث وكأنهم غير معنيين بما يجري، وهناك مَن لم يسمح له «زيفهُ ونفاقه» أن يحدد موقعه ومكانه، فامتنع عن تحديد هويته وموقفه بشكل واضح وعلني، وبقي رمادياً يميل مع كل ريح.. وبعضهم الآخر من انضم إلى قطعان الأعداء والإرهابيين والمخربين بسلاحه وماله وقلمه، ومنهم من دفعتهم أيديولوجياتهم العفنة ونفوسهم الموتورة وأحقادُهم المتوارثة إلى الهروب من حضن الوطن إلى أحضان أسيادهم في بعض الدول العربية والغربية تحت ذريعة اللجوء والمعارضة.. فافتُتحت لهم قنواتٌ ومنصاتٌ سوداء، وصحفٌ صفراء، ليُزيّفوا ويحرّفوا ويضبركوا ويحرّضوا على الكراهية والعنف والتمرد والفوضى في سورية، ويتحوّلوا بواسطتها لمجرد بوق يتم النفخ فيه وقت الحاجة، ومن بعد ذلك يتم التخلص منهم إما بتهميشهم أو إسكاتهم ببضع دولارات، أو التخلص منهم في أحسن الأحوال.

الدّم الباكي

بادر سيف - الجزائر

دم باك، ساحر ذلك الليل
بعيداً حيث تثرثر الأشجار في بحيرة الاضطراب
يمضي الوقت بطيئاً على هندباء الأبجدية
يتناثر الجفاف على دفتر الريح
ينسج القصب المائل
عنقاً مملاً
وعلى شفة النفلى تكتب حقول القصب
قاماتها المتكسرة
يلهو الصفصاف بدموع الحجر
ترفقي أيتها الأيام الحاسرة هناك في منتصف
القبلة مرارة
وفي مستقبل الأرض غضار آدمي
يشكل من أهداب النوافذ رتلاً من العناق
وخفاء الأعضاء
تتصلب التقوى حين يلامسها ماء الكشف
والحضرة الصوفية
ترسم على جدار الكون ابتكارات النجوم
دم باك، شاعر يعاند دهشة الأسرار
وعلى قارعة الذكرى يطلق العناق
لهواتف الهواء
عله ينجو من لهاة الزمن المسبوغ
بالأسود الرمادي
دم شاك، يفتش في زوادة الدرب الرابط بين
النبائل ومهرة الانقراض
عن منفذ للضوء بأجنحة من ورق الينابيع
دم يرسم بظلام الدقات بثوراً على هيئة
الطير الناعس
يخمص قبضته المباني المتتالية
....
آنا هنا مند عصور اليأس
أسكن جرن الكتب وأساور التعاليم
الآهلة في زوايا
القلب
هنا منذ أن تعالت رائحة التاريخ
و حصير البسالة
آنا هنا تائه بين انبيق الأبجدية
وعبث الحرية
طيش العصر
ضيق المكان
وظلم الفهم
،،ربما يتآكل عصر الهياكل المغلقة
يسكن شقوق الأزرار الملتبسة
يتآكل الظن
يهجر أرض الله
كل شكل روح
وكل روح رقم
أمشي ثم أمشي، لا أهتدي بلافتة،
أترنح على أهداب النوافذ
الحاسبة، عله يشرق ذلك القمر الغزال
المهى
....
أفرك وجه المدينة النائمة
أسبح في لهب الدروب المهربة
ترتسم على بياض النجوم الباسمة
أسماء شوارع مضرجة
بخلاسية الزهور
اجلس كعادتي على ريش القطيع
العابر الحابس لسلطان الندف
أشرب
ثم أشرب
ثم أشرب
أشرب نتوءات الذرة
لثغ الإلكترونات
اهجر نفايات الكلام المهدج
إلى سطوع الأزمنة المنشطرة
اطلع من جيوب التجاعيد الواهمة
أهيل التراب على بساط الهدوء
أرسم نبوءات الربيع وأشباح الماضي
أفكك ملاحم السلاحف المهاجرة عكس
عقارب البخار
وأنا الأرض
ورق البردة
تلك الوجوه الواجمة المستنفرة أمام
طوفان الغضب
نعم أشكل من مساحيق الذكرى
هدهدا
وصباغ المعنى لوحة كجذر السوسن

«ثمة أشياء أخرى»

ديانا مريم

في الطرفِ الآخر من الّليل ..
البعيد جدّاً عن أحداقي
لا تنتظرْ عبور الحكايات قصيرة المدى
فهناك لم تزل ...
أنصاف أحلام متورمة
دروب متعددة المتاهات
سراديب أُعدت للغرق والهذيان
من يعيد ترتيب الروح المتأوهة ؟
من يرسم على شغافنا لغة الورد والندى ؟!
عنوة يحدثوننا عن الصدقِ البارد
وهُمْ في آفاقِ الاغتراب يسبحون
ألقِ قميصكَ على كاهلِ الليل الثقيل
في بئرِ الأحزان
فالنجوم تتكفل به
ببصيص نور
تضيء أعيناً وتزهر.
مَنْ قسمَ اللهفات ؟!
مابينَ أريجِ الحنينِ
وريحِ النّوى
من منّا يشتهي الغرق ؟!
يحدث أن نلتقي
تتوهُ الكلمات
تسوقنا الآهات
إلى الدروبِ الحزينة
ولياٍل لا اريجَ فيها يشفي
فأيُّ زمنٍ هذا ؟!
ومافائدة السؤال ؟
لم يستوقفني الوقت
ولمْ ينهَرني الصباح
كلُّ الحكاية أنني
كالزمان أتلو أحزاني
فرفقاً بسطوري رفقاً
كادتْ ملامحي
أن تذوب في الماءِ.

مطر النقاء الأخضر

هنادة الحصري

تأتي الهواجسُ متئمات بالرضا
متثاقلاتٍ بالعطاء
محومات بين أهدابِ السحابة ...
هل أمتطي ألق الهطولِ
قميص عصف مشرق الكتفين
يسترني، ويزرع في مدى رؤياي غابة..؟!
أم أستعيرُ من الثلوج حصيرة الألوان
أفرشها مجازاً للخليقة
أو أنامُ على أزاهير الزمانِ
هنيئةً، فوق الأرائك:
غير آبهةٍ بأوصاف الغرابة ..؟!...
أواهُ يا مطر النقاء
رذاذ أجنحة الندى
تجتاح خافقة الفؤاد
ويرعش الأوصال يسحبها
إلى نبعِ العذوبةِ والصفاء
ويكشط العتم الغشيم
مطارداً بلواهُ في أفق الفيافي
معلناً فجر الصباح
مخضباً بالأخضر الزاهي
يشعُ مبعثراً قشّ الرتابة ..!!
ياأيها المطر الموشى بالحنانِ
أغث قوارير الكلام
وغطّ ريشتها بدفاق الكتابة ..!!
موج من الكلماتِ
يصخب هادراً، مترقرقاً
آنا، وآنا يستفيق على بحارِ
أغرقت في قاعها شبح الكآبة ..!!
يتواشج الغيمُ المسافرُ بالشذا
والدمعُ يبني عشهُ الصيفيّ
بين جزائر المرجان منتعش الرؤى
وعرانش الشطان تستضوي عبابة ..!!
لا تخذلوا شغف الخصوبةِ
في اجتثاث الشر
من أغوار هذا الكون
يلفحني عبيرُ بخور نار الروح:
ها، شراييني تعرش سقف داليةٍ.
وها، زنداي غُصنا سروةٍ يتسامقان
إلى سرير البدر، يبتهلانِ ...
ها، ثغري يتمتم بالسؤالِ ...
فأين أرتشفُ الإجابة ؟!

لظى واشتعال

مجيب السوسي

ليس من بعدها لظىً واشتعالا....
قاربت تزهقُ الضلوعَ احتلالا!!!....
مافؤادي بقادرٍ أو صدودي.....
هي تبني على الفؤادِ ظلالا!!!...
كيف أنجو؟ وكل غمزةِ عينٍ.....
تمسحُ العهدَ يُمنةً وشمالا...!!!؟
هي مكتظّةُ الحياءِ، فلمّا.....
يصدف السهمُ مُسرعاً.. قتّالا!!!....
. هي واللينُ، والندى ومعانٍ تحت
أهدابها تهُمُّ قتالا!!
لاطريقي بسالكٍ، أوجنوني.....
وهواها الكظيم بات ضلالا.....
أفتِني يامُفَسّرَ القلوب، فقلبي....
صار من كثرة الغوى أهوالا....
صمتُها والجراحُ، والجفنُ لغزٌ.....
كلما رفّ أشعلَ الانفعالا!!!
: إن قلبي مضرّجٌ بدماءٍ....
ليس يدري..هل عانقَ الأنصالا؟..
هي ضدان من حوارٍ.. وصمتٍ..
في عميق العينين..صال..
وجالا
هو بعضُ سُكّرِها غِوىً، ولسانُها
هاروتُ سالَ، وتمتمَ النّغَمُ
وعلى الشفاهِ توالدتْ صُوَرٌ
فاستيقظَ (النارجُ) والحُلُمُ!!!
تُلقي من الأشعارِ بعضَ لظىً
من حُسنِها، فالجُرحُ يلتئمُ
يامُبدِعَ التفّاحِ.. هل نزلتْ
(حوّاءُ) يسكرُ عندها الألَمُ؟!!!
: لايُلامُ المحبُّ.. إن مات ذبحاً....
أو غراماً.. أوذِلّةً أو جلالا!!!..
. لاتقولوا عن الجنونِ..
تمادت هذه الروح.....
نورُها يتوالى!!!

نخب الحياة

منى حبابة

لم تستطع الدفاتر
أن تملأ هذا الاحتواء الكبير
فمن أين جئت بهذا القلب
ومن هي التي حملتك طفلاً
صغيرًا
وأرضعتك وطنًا واشتعلت علمًا.
وبقي وجهها الغائب كالقمر
مستديرًا
كيف تكون بتصرف نقيًا صافيًا
بهذا العالم الشائك تخرج مثل
النور
ونسقط بك حلبة فنتعاضد
الأوراق
وكأن الخريف لم يمر.
في ربيعك الدائم ورد الجنائن
وكأن أصوات القصائد كأصوات
العصافير
تحلق مع النسائم..وكأني لن
أموت أبدًا.
لأنك معي. انهض من سبات مع
رياحينك.
وفرسان الكلمات وجوهرك
البديع..
ترقرق دمعتي فرحًا
بعد أن وضعت الأحلام أحمالي
الثقيلة
لتبوح بك المؤشرات وتغفو فوق
صدرك الحرائر
كأني بك أرفع نخب الحياة.
وكأني بك أطير دون أجنحة..

أمهات

رولا حسن

إلى كلّ الأمهات
وأجمل الأمهات
أمي
الأمهات
اللواتي يرتبن المدن
في الأدراج
ويوزعن عليها
الأبناء
بالتساوي
ثم
يجلسن وحيدات
في الحدائق.
اللواتي
يمر الصباح خفيفاً
بين أصابعهن
فتورق مساكب النعنع.
اللواتي
يرتقن الحياة
كلما
نزجرح
او
تفتق
حزن قديم.
اللواتي
عرفن شتاءات
طويلة وكثيرة
بينما
الربيع ينتظر
على حواف فساتينهن .
اللواتي
تصب أنهر الدمع
في عيونهن
ولا يغمضن
على نوم.

كالطير لا أنتمي إلى أحد

فرات إسبر

الأرضُ ما عادتْ تُصادقني،
كل يوم أقطفُ نجمةً وأعلو بها
فوق أحوال مُحيتْ رسُومها
وكنتُ على سفرٍ ومن الزاد جمرات في
فمي.
نطوفُ فوق الماء،
نتأملُ الأرضَ من فوق بحيرات
السفر
الطائرُ النحاسي، يحلقُ
وأنا أبحث عن يابسة.
« وجعلنا من الماء كلّ شيء حي
ولكن الماءَ لا يؤنث.

رئة العدم موشاةٌ بالحيرة.
حرريني أيها الشوق، يا من تأخذني
علواً وهبوطاً،
القلبُ لا يؤنث
العينُ تتبعُ القلبَ
تقود إلى حلمٍ،
و تهزمني ذاتي.
حروبٌ تتوهجُ في قلبٍ لا يؤنثُ :
رأيتُ الحائطَ يبكي، يقولُ : ما أوسعَ
وحدتي
وما أشدّ اشتياقي إلى مؤنسي،
في البيتِ لا نرى صورَ البنات.

في طريق الكشف عن المعنى،
وجدتُ نفسي كالرخام البسيط
المعقد،
ارتوىَ من عطش الحيرة وبكىَ،
وبصوتٍ لا يشبهُ أصوات البشر قال يا
ابنتي :
يجتمعُ الماء بالملح ويذوبان معاً
يجتمعُ السكرُ بالماءِ ويذوبان معاً
يا ابنتي:
خذي المعنَى من فمِ الفراشة
أو من قرنِ غزال
يا ابنتي،
النّور يذوبُ حينَ يأتي الظلامُ.